من الرحلات الحجازية
لعلماء الغرب والمغرب الإسلامي

3

رحلة القطب

الشيخ امحمد بن يوسيف بن عيسى اطفيش
الشهير بـ "قطب الأمة"
1238هـ - 1821م / 1332هـ - 1914م

تحقيق وتعليق
أ. يحي بن بهون حاج امحمد

دار الآفاق العربية



رحلة القطب

الشيخ امحمد بن يوسف بن عيسى اطفيش
الشهير بـــ " قطب الأئمة "

دراسة وتحقيق

الأستاذ يحي بن بهون حاج امحمد

مدخل

مدخل:

لقد عرف العالم الإسلامي عبر تاريخه الطويل فترات رقي وازدهار كما عرف أوقات شدّة وانحسار، كما شاءت حكمة الله أن يقيِّد لهذه الأمة في كل مرَّة من يجدد لها أمر دينها وينفخ روح التغيير فيها بعد موات بعض أجزائها، فظهر بذلك في عالم الإسلام عظماء مجدّدون صنعوا لمجد الإسلام والمسلمين انتصارات مختلفة بين حربية إقليمية وأخرى فكرية تربوية إلى اجتماعية نفسية، جعلت من هؤلاء المجددين قادةً وهداة يُقتدى بهم ويضرب بهم المثل في النبوغ والتميز خلال فترة الزمان التي جاءوا فيها.

وقد ترك معظم المُجددين ممن اشتغل بالإصلاح الاجتماعي والتدريس والتأليف بصماتهم الخالدة، فعرفناهم من خلال مؤلفاتهم أو مؤلفات تلاميذهم، ومنها تكوَّن لدينا تراث فكريٌّ كبير متنوع، حتى وإن كان معظمه ما يزال بحاجة إلى المزيد من الدراسة المعمّقة للكشف عن ثرائه وعُمقه، وأثره الكبير في التراث الإسلامي والإنساني بصفة عامة.

ولما كانت حاجتنا نحن المسلمين مُلحَّةً في عصرنا هذا للتعرف على فكر المزيد من الشخصيات الإسلامية التي أنارت عصرها ومصرها، وجاهدت بكل ما تملك في إصلاح أوضاع مجتمعها وبناء أوطانها، فإننا مطالبين _وخاصة فئة الشباب_ بالغوص في التراث المتنوع وإعادة قراءته وإخراجه بالدراسة والتحقيق، حتى تحصل الفائدة التي تمناها أصحابها من وضعها، ومنها نقل تجارب السابقين واستنباط الحكم والدروس، ليصبح ما يتمُّ بنائه اليوم لَبِنةً تضاف فوق لبنات ما بناهُ الأسلاف من قبل، وهكذا كان الفكر الإنساني ولا يزال عبارة عن تراكم للأفكار وبناءات يشد بعضها البعض.

تكملة لمشوار السلسلة التي بدأها تحت عنوان: "من الرحلات الحجازية لعلماء المغرب الإسلامي" يشرفني أن أقترب إليك اليوم أيها القارئ الكريم بهذا العمل المتواضع، لأقف مع مرة أخرى لحظات مع عالمٍ رحالة، سجّل لنا على غرار الوارجلاني الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، والمُصعبي الشيخ إبراهيم بن بِحمان الثميني، الكثير من الملاحظات التاريخية والفنية والفقهية والأدبية في رحلته الحجازية التي نظمها هو الآخر شعرًا، في قصيدة من مائتين واثنين وثلاثين بيتًا، يروي فيها بعض تفاصيل أحداث رحلته الطويلة والشاقة.

يعد أدب الرحلات أحد أبدع الفنون الأدبية وأرقاها، لما يحمله من فوائد عديدة متنوعة، منها الفكرية والأدبية، ومنها التاريخية والاجتماعية، وإلى غير ذلك كثير، ناهيك عن الأخبار والطرائف التي يتنزه فيها القارئ مع صاحب الرحلة، ويتعرف من خلالها على المدن والآفاق، وعادات الطوائف والأقوام في مختلف الأمصار..، هذا وقد حفظت لنا يد الزمن بعض الآثار المكتوبة عن بعض الرحلات الحجازية خلال تاريخ المغرب الإسلامي الحافل، وفي كل فترة تاريخية مهمة منه، كان يبرز هنا أو هناك أديب أو شاعر رحالة يخط لنا للتاريخ والأدب آثار رحلة حجازية كان قد سافر لها في فترة ما من حياته.

ولم تكن هذه الرحلة كسابقاتها من الرحلات، فهي تمتاز بتقييدات فقهية مهمة من مؤلفها ومن شيوخ الحرم في عهده، وتعكس إلى جانب ذلك التواصل العلمي والفكري بين علماء المشرق والمغرب الإسلامي، وكذا إرساء دعائم التفتح الفكري على المذاهب الإسلامية المختلفة وغيرها، ولعلي أترك القارئ الكريم يستخرج ما بقي منها من خلال قراءته المتأنية لنص القصيدة.

المؤلف: العطف في 2007/08/08

التقديم

طريقتي في البحث:

يُعدُّ القُطب الشيخ امحمد بن يوسف أطفيَّش من أشهر نوابغ علماء الإباضية المجددين في العصر الحديث، فهو عالم ومُعلّمٌ ومُتعلم يخدم العلم والمجتمع، ويسعى في تحصيل العلم ونشره، كما لا تفتُر همته العالية عن توعية المجتمع وإرشاده وإصلاحه.

لقد شغل هذا العالِم زمانه ومكانه، لذلك فقد يقف المتتبع لآثار حياته مذهولاً أمام ذلك النبوغ الفريد، وتلك الهمّة العالية التي لا تعرف الكلل ولا الملل، رغم توالي النّكبات عليه وعلى بلاده، فقد كتب هذا العالم في كل الفنون تقريبًا ونظم المنثور وهو ابن ستة عشر ربيعًا[1]، ثم تراه يدرِّس الطلاّب مختلف الفنون، ويألف ويفسر ويشرح ويقابل وينظم وينثر، وحتى يراسل الوجهاء من مختلف الأصقاع، ويجيب عن أسئلة المستفتين، ويعلق على الكتب، ويرحل بعزيمة المؤمن الصّادق لأداء مناسك الحجّ ونشر دعوة الحق والفضيلة وترسيخ أواصر التواصل بين المسلمين رغم صعوبة المطلب وكثرة المطب..، لقد ملكت إعجابي هذه الشّخصية الموسوعية التي لم تتقيّد بحدود تخصص ضيّق أو معيَّن.

إنّ الموسوعية والتنوّع الذي تميّز بهما القُطب أطفيَّش فيها تأثّر كبير بمسيرة علماء السلف من القدماء والمحدثين[2]، ممن تميزوا بالتأليف الموسوعي.

ولعلّ تنوّع مظاهر النّبوغ فيه، رسّخ جدوى جعل العلم في خدمة واقع الحياة، إذ إنّ من حسن حظّ المكتبة الجزائرية والإسلامية أن حفظت لنا يد الزّمن مجموع مؤلّفات القُطب أطفيَّش ــعلى ما وصل إلينــ والتي بين أيدينا

---

1. لقد نظم القُطب كتاب "مغني اللبيب" لابن هشام، في 5000 بيت وهو ابن 16 سنة فقط..

2. ومنهم الشيخ أبو زكرياء يحي الأفضلي والشيخ ضياء الدين الثميني، وسيأتي الحديث عن جهادهما الإصلاحي.

اليوم، لتكون شاهدا على فترة تاريخية مهمّة من حكم الاستعمار الفرنسي بالجزائر، إذ يشاء الله أن ينبري بصحراء الجزائر الحبيبة _كما انبرى غيره في شمالها_ من يقف حجر عثرة أمام تجسيد المستعمر لطموحاته في "فرنسة الجزائر" وتنصير شعبها المسلم، فقاوم المستعمر بقلمه المنافح عن عزة الإسلام والمسلمين من خلال جهاده في التربية والتوجيه، فخرَّج من معهده[1] من شيَّب المستعمر وأنساه حُلم امتلاك الجزائر ولو جزء منها.

وحتى بعد سطوع نجم هذا العالِم في الجزائر والعالم الإسلامي حاول المستعمر الفرنسي التقرُّب إليه بالهدايا والنَّياشين[2]، لكن ذلك لم يشفع لهم بالقليل ولا الكثير عند القُطب للتوقف عن التشهير بسياسة المستعمر في كل مرة، حتى فُرضت عليه الإقامة الجبرية وسُلِّط عليه أذناب المستعمرين ممن باعوا ضمائرهم للأعداء، لينغِّصوا عليه معيشته وينفِّروا الناس من حوله، فلم يزدد نجمُه إلاَّ سطوعًا و لم يَسِل قلمُه إلاَّ علمًا غزيرًا.

لقد جمع القُطب إليه طلبة كثيرين أخذوا منه الكثير من وقته في التدريس، وإضافة إلى ما يتطلبه التعليم من جهد فإن ذلك لم يثن من عزم الشيخ في اشتغاله بنسخ المخطوطات لنفسه ولمن ينتفع بها من طلبته، فقد كتب القُطب معظم كتبه بخطّه، ووقّعها بنفسه كذلك، إلاّ ما صار متداولاً بكثرة وما وصل إلى المطابع الحجرية في وقته، وهو ما يمكن اعتباره دليلا واضحًا على رقي مؤلفاته، وذيوع صيته في عصره وبعده.

---

1. لقد تخرّج من معهد القُطب روّاد الحركة الإصلاحية في الجزائر وخارجها، أنظر ما سيأتي حول تلاميذ القُطب.
2. لقد كوفئ القُطب بعدد من الأوسمة والنياشين، وكان معظمها مكافئة له على حله بعض المعضلات، ومنها حله لأحجية "لغز الماء" التي حيَّرت علماء العالم في عصره.

النسخ المعتمدة في التحقيق:

لم أجد بعد طول بحث وتنقيب نسخا أخرى من قصيدته الحجازية، ويبدوا لي أن النسيان قد طالها، ولعل هذا راجع لقلة اهتمام الناس بالأدب والشعر، ولاشتهار القُطب عند العامة بتضلُّعه في الفقه أكثر من شهرته شاعرًا وأديبًا، ثم كونها مخطوطة قد أبعدها ـأي القصيدةـ عن أن تكون في المتناول.

أمَّا النسخ المخطوطة التي وصلت إليها فهما نسختان رمزت لإحداهما بالحرف (ع) وهي ببني يسجن[1] مسقط رأس القُطب ـرحمه اللهـ، بخطِّ تلميذ تلميذه: الشيخ عمر بن يوسف عبد الرحمن[2]، وهي مكتوبة بخط مغربي أنيق.

رقمها بالمكتبة: أ.ز 7.

عنوانها: القصيدة الحجازية.

فـن: النظم

المؤلِّف: القُطب امحمد بن يوسف أطفيَّش.

المطلع: هَجَرنَا مَسَاقِطَ الرُّؤُوسِ وَمَا نَرَى سِوَى الحَجِّ إِنَّ الحَجَّ قَد حَانَ أَنْ يُرَى

الخاتمة: فَوَاهًا وَلَكِن تَستَّرَتِ السَّمَا فَأَطمَاعُنَا في اللهِ إِذ نُورُهُ وَرَى

النّاسخ: الشيخ عمر بن يوسف عبد الرحمن.

---

1. بني يسجن، أو "آت يزجن" من أشهر قرى مزاب، غرداية، الجزائر، مدينة العلم والعلماء، أسست عام 720هـ/1321م، وأصل المدينة " تافلالت "، وقد عرفت عدة توسُّعات، وهي تقابل قصري بُونُورَة ومَليكة في ضفة وادي مزاب. ينظر: الحاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب، المطبعة العربية، ط1، 1991، ص22.

2. عمر بن يوسف عبد الرحمن (1916/1996م): من أعلام مدينة يسجن المتأخرين، ترك آثارًا خالدة في مجال التربية والتعليم، اشتهر بنسخ مخطوطات العلماء على غرار القُطب، وذلك لما يتميز به من خط مغربي بديع. ينظر: حياة الشيخ عبد الرحمن الحاج عمر بن يوسف اليسجني وجهاده في سبيل العلم والتعلم، بحث مرقون بقلم حاج سعيد باحمد، 2001.

مكان النّسخ: بني يسجن.

تاريخ النّسخ: د.ت.ن

* ورد في العنوان "القصيدة الحجازية **له** رحمه الله"، وهو ما يفيد بأن كتابتها كانت بعد وفاته.

عدد الأوراق: 11، المقاس: 22×17، 12 سطر في الورقة.

الخط: مغربي مقروء، المداد: بنّي وأسود.

التّجليد: مفصول، كراس مخطط مفصول الأوراق.

حالة المخطوط: كامل، حالة الحفظ: متوسّطة.

النسخة الثانية وقد رمزت لها بالحرف (ب) وهي بخط الشيخ الحاج أيوب إبراهيم الشهير بـ "القرادي"[1]، وهي مصورة بحوزة الأستاذ الباحث كروم الحاج أحمد بن حمو بدار إروان بالعطف، يبدو لي بعد الملاحظة أن هذه النسخة قد نقلها صاحبها من نسخة الشيخ عمر بن يوسف عبد الرحمن، لأنه أورد حرفيًّا الملاحظات التي ذكرها الأول، وقد ذكر لي أستاذي أحمد بن حمو كروم أنه سمع عن الشيخ القرادي ـرحمه اللهـ يقول عن الشيخ عمر بن يوسف لما زاره في منزله ببني يسجن طالبًا منه نسخة من حجازية القُطب: "جئت لتأخذ قصيدة بني عمومتك" (وهذا على سبيل التنكيت طبعًا)، ذلك لأن القصيدة الحجازية تحوي إشادة مميزة بفضل بعض علماء العطف والشيخ القرادي من بلدة العطف[2].

---

1. إبراهيم بن يحي القرادي: (و:31 مارس 1923/ت:4 جويلية 1989م) عالم ومؤرخ من بلدة العطف بمزاب، مجاهد بارز ساهم في معظم النشاطات الثقافية والاجتماعية لجمعية النهضة، وأحد رواد الحركة الإصلاحية بمزاب، ومن مؤسسي جمعية التراث. ينظر: معجم أعلام الإباضية، نشر جمعية التراث، ج2 ص67 وما بعدها.

2. لقاء مع الأستاذ أحمد بن حمو كروم، بمكتبه بدار إروان، العطف غرداية، بتاريخ: 2007/07/10.

وقد تعرَّفت على صاحبي النسختين بمقارنة الخطوط، مع دقّة التّواريخ، ثمّ صحة الأعلام المذكورين فيها، إذ كلّهم من معاصري القُطب وأغلبهم مشهورون وله مع بعضهم مراسلات[1]، أضف إلى ذلك أسلوبه الأدبي والفني الذي لا يتغيّر، ثم النّقد الصّريح ودقّة الملاحظة، وغيرها كثير.

وقد شرعتُ في تحقيق الرحلة معتمدا على النّسختين المذكورتين بعد جمعهما، وبعد أن ذلّلَ لي مشكورين معظم الإخوان الكثير من العقبات، بتصوير النّسخ، ومساعدتي في قراءة بعض النّصوص المُتمحِّلَة، ونسبة الخطوط إلى أصحابها، وجمع المادة العلمية المتناثرة والمتعلقة برحلة القطب الحجازية.

وقد بدأتُ عملي بالتّقديم الذي يحوي مجموعة من العناوين وهي: نظرة على واقع العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، جزائر القرن الثّامن عشر الميلادي، الثّاني عشر الهجري، وادي مزاب خلال نفس الفترة، جهود الحركات الإصلاحية بمزاب وروّادها، القُطب نسبه ومولده، نشأته ووفاته، نبوغه، معهده، منهجه في التدريس، مكانته العلمية، مؤلفاته، أخلاقه وجهاده التربوي، جهاده الاجتماعي، محاربته للاستعمار الفرنسي، رحلاته وأسفاره، رحلاته الحجازية، ظروف الرحلة وتفاصيلها، وبعض فوائد الرحلة.

يلي ذلك تحقيق رحلة القُطب، وقد سلكت فيها الطرّق الفنّية والمنهجية العلمية خاصّة ما يتعلق بتحقيق النّصوص ونشرها، فأخرجت النصّ نقلا محقّقا من المخطوط إلى المبيضة قدر المستطاع دون إضافة أيّ شيء على المتن، وتركت كلّ ملاحظة أو تعليق مُهمّ إلى الهامش، ليظهر بذلك النصّ مقاربا لما تركه عليه مؤلّفه آخر مرّة، ولأُحقّقَ بذلك الأمانة العلميَّة، وقد وضعت أرقاما

1. هناك مراسلات مهمة بين القُطب وتلميذه عمر بن حمو بن باحمد بكلي العطفاوي، للأسف لم أصل إليها بعد.

على الأبيات ليسهل بذلك التّعليق عليها في الهوامش أو الملخّص، وقد عرّفت بالأعلام الذين أتى ذكرهم في الرحلة إلاّ ما كان منهم مغمورا لم أستطع الوصول إليه، وكذلك الأمر بالنّسبة للأماكن، وأشير هنا إلى أنّ البحث عن الأعلام والأماكن استغرق وقتا طويلا وجهدًا كبيرًا لأنّ منهم الكثير ممن لم يأت ذكره في المصادر والمراجع فسألت المؤرّخين والعارفين بالأنساب، وقد اهتديت والحمد لله إلى التّعريف ببعضهم، وقد شرحت ما غمض من الألفاظ معتمدا اللّسان لأنّ الشّاعر كان في الغالب يستعمل لغة جزلة، وضبطت قبل ذلك النّص بالحركات الإعرابية، وخرّجت الآيات مشيرا ومعلّقا على الاقتباسات، وقد صحّحت بعض الكلمات المصحّفة والتي اندثر أو انمحى خطّها بعوامل الزّمن، مستثمرًا منهجية العمل من كتاب فن تحقيق النّصوص ونشرها للدّكتور محمّد عبد السّلام هارون ومن غيره.

وقد أنهيت البحث بوضع خريطة تبيّن مسلكه في رحلته إلى الحجاز ذهابًا وإيابًا، وعرض لبعض النّماذج المخطوطة مصوّرة من القصيدة الحجازية ومن بعض مؤلفاته.

وفي الختام وضعت فهارس الموضوعات، والقبائل، والأعلام والأماكن، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ثم المصادر والمراجع.

وإنّي أسأل الله أن يوفقني إلى ما يحبه ويرضاه فهو الهادي وهو الموفّق.

الرّموز المستعملة ودلالتها الاصطلاحية:

المج:	المجموع	طح:	طبعة حجرية
نا:	النّاسخ	س:	سطر
ت.ن:	تاريخ النّسخ	خ:	خط
م.ن:	مكان النّسخ	ج:	جمع / جزء
*:	ملاحظة	ق:	ورقة
مخ:	مخطوط	و:	وجه
مط:	مطبوع	ظ:	ظهر
[كذا]:	هكذا ورد في الأصل	م.آ:	مبتور الآخر
م:	مقاس	م.أ:	مبتور الأوّل
ح.ح:	حالة الحفظ	اللّسان:	معجم لسان العرب
ف:	فصل	ح:	حرف
87(هـ)	الصفحة 87 في الهامش	تر:	ترجمة

نظرة على واقع العالم الإسلامي خلال ق19م:

لاشك أن الإحاطة بالظروف السياسة والاجتماعية تساعد على الوصول إلى فهم الكثير من الدقائق والجزئيات عند التطرق إلى دراسة مواقف وآثار المفكرين والمُجددين، ومن هؤلاء شيخنا القُطب الذي ساير معظم أحداث عصره في وطنه الجزائر وفي العالم الإسلامي وحتى في أنحاء أخرى من العالم.

لقد عرف العالم الإسلامي خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين أي القرن التاسع عشر للميلاد تطوّرات وأحداثًا كبيرة أهمها:

- اشتداد ضعف الدولة العثمانية[1]، وازدياد تكالب الدول الغربية على اقتسام أراضيها وخيراتها، خاصة مع ازدهار الصناعة في أوربا وحاجتها للمواد الأولية.
- تدهور أوضاع العالم الإسلامي بصفة عامة، وتخلُّف المسلمين بسبب هجوم المستعمر الأوربي على بلدانهم وممارسته لسياسة التفقير والتجهيل.

رغم ذلك فقد ظهرت حركات إصلاحية حتى وإن لم يتسع مداها، لكنها ساهمت في إيقاظ الضمائر وتنبيه الشعوب الإسلامية بخطورة الاستعمار ففضحت أساليبه وكشفت ألاعيبه، ولعل من أشهرها: حركات جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وأحمد عُرابي، والأمير عبد القادر الجزائري وغيرهم، إلاّ أن معظم حركات المقاومة والتحرير المتنوعة في أساليبها ما بين حربية وفكرية واجتماعية، بقي مجال نشاطها محدودًا في الأوطان التي احتضنتها ولم تتوسع كثيرًا، وهذا نظرًا لطبيعة الاستعمار الذي وقف لها بالمرصاد محاولاً إخمادها والتأثير عليها.

---

1. ينظر: مصطفى وينتن، آراء الشيخ امحمد بن يوسف أطفيَّش العقدية، نشر جمعية التراث، القرارة الجزائر، المطبعة العربية غرداية، ط1، 1998، ص18.

مزاب خلال نفس الفترة:

لم يكن مزاب رغم انزوائه في صحراء الجزائر[1] وبُعده عن العواصم الكبرى، بمنأى عن الأوضاع المتردية للعالم الإسلامي، بل لحقه ما لحق الأخير من تخلف وانحطاط، رغم وجود النُّظم التي حفظت الاستقرار بالوادي إلاّ أنه شهد هو الآخر فترات ازدهار وانكماش وتأثر بما حوله من أوضاع، ومن أسباب تخلفه:

- موت العلماء الأعلام بسبب الفتن الداخلية والأوبئة الفتاكة والمجاعات.
- صعوبة قيادة المجتمع وتوجيهه في ظروفٍ نقُص فيها العلم لذهاب أهله وانتشرت فيه العصبية القبلية التي يغذّيها الجهل ومبدأ التّناصُر حتّى في الظّلم.
- غياب سلطة مادّية قاهرة كالجيش النّظامي أو الشّرطة.
- ازدواجية الصّف فمعظم العشائر كانت مقسّمة إلى كتلتين شرقية وغربية.[2]

على المستوى العام فإنّ قرى مزاب كانت تشكّل اتّحادا يشرف عليه مجلس أعلى يمثّل من كلّ المدن (القرى) من: العزّابة والأعيان... ولا يُعرف بالضبط تاريخ إنشاء هذا المجلس الاتّحادي، ولكن أقدم قرار له وجد مكتوبا كان يحمل تاريخ: 1 رجب 807هـ/1405م، وقد كان أوّل الأمر ينعقد في مقبرة

---

1. يبعد وادي مزاب عن عاصمة الجزائر بـ 600كم، وهو بعيد كذلك عن أن يحوي خيرات تجلب الأنظار إليه، فهو يقع وسط سلاسل صخرية قاسية، ناذرة المياه السطحية وجافة طول السنة تقريبًا.
2. ينظر بتفصيل: الحاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب، ص71.

باعبد الرّحمان الكُرثي[1] ثمّ أخذ يتحوّل حسب الظّروف بين هذه المقبرة ومقبرة الشّيخ عمّي سعيد الجِربي[2].

وهذا المجلس الأعلى مجلس تـشريعي يـشرّعُ الأحكـام في الجـرائم والجنايات والمعاملات كما يضع اللّوائح التي تخصّ حياة مزاب العامّة، ورئـيس هذا المجلس يسمّى "شيخ وادي مزاب" تنتخبه عزّابة القرى من بينهم وهو الذي يعلن عن الاتّفاقات التي تصدر عن المجلس.

مما وقع عليه الاتّفاق مثلا: في شوّال 1025هـ/1642م: اجتمعت خمس قرى في روضة أبي مهدي عيسى واتّفقوا أنّ: «من يحمل الحديد (السّلاح الأبيض) فغرامته عقوبته 25 ريالة، والذي يضرب به 50 ريالا والنّفيان، والحمية والعصبية فغرامته 25 ريالا، والذي عاقبته الجماعة بغرامة فَنَافَ عليه أحد أو أوشاهُ يغرَّم عليه 5 ريالات، ومن غضب من بني عمّه وصار يُشوّش على عشيرته فغرامته 25 ريالا». [3]

إن مثل هذه الاتفاقيات حفِظت للمجتمع المزابي جزءًا هامًّا من كيانه وتوازنه واستقراره، في حين كانت السلطة العثمانية والفرنسية من بعدها لا تنتظر من رعاياها إلاّ دفع الغرامات والدُّنُوش التي عليهم بعد الحصاد، ومن جهة أخرى فإنه ورغم الردع المفروض بالتّعزيرِ والنفي والهُجران...، إلا أن السواد الأعظم

1. باعبد الرحمان الكُرثي من علماء وادي مزاب ق12م/ 6هـ، له مصلّى مشهور ما يزال قائما بمليكة إلى اليوم. ينظر: معجم أعلام الإباضية، نخبة من الباحثين، نشر جمعية التراث، ط1، 1999، المطبعة العربية، ج3، ص512.

2. عالم أطبقت شهرته الآفاق، وهو من أحيا العلم بوادي مزاب ت: 1492م/ 898هـ، أول من أسس مجلسًا للفتوى يجمع مشايخ وعلماء واد مزاب، وقد سمي باسمه فيما بعد ولا يزال إلى اليوم. ينظر بتفصيل: نفسه، ج3، ص376 وما بعدها.

3. ينظر: الحاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب، ص50-51.

كان غارقا في مظاهر التخلف السالفة الذكر، واستشرت فيه الأمراض الاجتماعية والآفات المختلفة، وهو ما دعا النخبة إلى التفكير بعمق فيما يخرجهم من هذا التخلف الخطير، حتى توصلوا إلى أنه لن يُحييَ هذه الأمة إلا ما أحياها في أول عهدها، وهو طلب العلم من مصادره، فراحوا يرسلون البعثات المختلفة لإحياء العلم وتنوير العقول، تماما كما فعل السلف، وفي كتاب طبقات المشائخ بالمغرب للدرجيني تاريخ حافل بسِيَرِ الأسلاف ونشاطهم في طلب العلم ونشره.

جهود الحركات الإصلاحية بمزاب:

لقد كان من النّتائج المحمودة للبعثات العلمية في تلك الفترة إلى جزيرة جربة ومصر الأثر المحمود على بني مزاب، وهو ما جعلهم كذلك يفكّرون بعد عقود أخرى في إرسال بعثات متتالية، وممّن كان لهم الفضل في إحياء العلم بمزاب بعد عودته من جزيرة جربة: الشّيخ أبو زكرياء يحي بن صالح الأفضلي المعروف بعَمِّي يحي[1] (1712-1788م) وهو من العلماء الأعلام وكبار المشائخ بمزاب إبّان النّهضة الحديثة، بل هو باعثها الأوّل[2]، ولد ببني يسجن بمزاب، ثمّ رحل إلى جربة لطلب العلم ومكث بها اثنتي عشرة سنة متّصلة متفرّغا فيها لطلب العلم، ثمّ رحل منها إلى مصر وأقام بها أيضا ردحا من الزّمن، يغترف من معين علمائها ويجلس لدروس المدرسة الإباضية بوكالة الجاموس العامرة، ودروس جامع الأزهر، كما رافق في ذات الفترة الشّيخ أبا حفص عمرو بن

1. ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج4، صفحات 965-968.

2. ينظر: علي يحي معمر، الإباضية في موكب التّاريخ، الحلقة الرّابعة، الإباضية في الجزائر، مطبعة الدّعوة الإسلامية، مصر، ط1، 1979، ص310.

رمضان التلاتي الجربي، ثمّ عاد إلى وطنه مزاب حوالي 1744م وشرع في وضـع أسس حركة إصلاحية شاملة، فعلّم وأرشد وأصلح في التّعليم والوعظ وفـتح مدرسة هي في الأصل جزء من مسكنه، تحوّلت بعد ذلك إلى معهد هو عبـارة عن قسم للدّراسات العليا، ومنه تخرّجت على يديه جحافل الطّلبة الذين قـادوا الحركة الإصلاحية بوادي مـزاب وورجلان ووادي أريغ، منهم: ابنه موسى والشّيخ ضياء الدّين عبد العزيز الثّميني، والحاج إبراهيم بن بحمان، وحمّو والحاج اليسجني وأبو يعقوب يوسف بن عدّون، وبابه بن امحمّد الغرداوي...وغيرهم.
التحق الشّيخ بعد استقراره بمزاب بحلقة العزّابة، وقد صدرت في عهده تَقنينات (اتّفاقيات العزّابة) والتي كانت تهدف إلى تنظيم الحياة العامّة بوادي مزاب.[1]
إضافة إلى جهوده في الإصلاح وتخريج الطّلبة فقد اشتغل بنسخ الكتب والتّأليف وترك ما لا يقلّ عن عشرين نصّا بين رسالة وحاشية، كما وله تآليف في شروح على دواوين شعرية في العقائد، وقد ترك مكتبة ثرية يتوارثها ذووه إلى اليوم، توفّي عن عمر .ناهز 76 سنة بعد مرض عضال ألزمه الفراش ثلاث سنين وقد رثاه تلميذه الشيخ ابن بحمان كما ذكر في مكانه من الديوان.[2]
ومن أعلام الإصلاح أيضا: الشّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الثّميني الملقّب "بضياء الدّين"[3] (و: 1718م- ت: 11 رجب 1223هـ، 1808م) وهو خال الشّيخ إبراهيم بن بِحمَان الثميني، وكثيرا ما افتخر به في شعره ونثره، وقد أوردت الأبيات التي مدح فيها خاله وعلقت عليها من خلال تحقيقي لديوانه.

---

1. ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج4، ص966
2. ينظر: ديوان المُصعبي الشيخ ابن بِحمان، صفحات47 وما بعدها.
3. ينظر: السابق، ج3، صفحات532-534.

يعدُّ الشيخ ضياء الدين عَلَمًا من أعظم أعلام الإباضية، وهو من بني يسجن بمزاب، نشأ بها وحفظ القرآن ثمّ سافر إلى وارجلان ليدير أملاك والده هناك حتّى سنّ الثّلاثين[1]، ومع عودة الشّيخ "عمّي يحي" إلى مزاب، سمع بخبره فانتقل إلى مزاب لملازمته في حلقاته، وكان حاذقا فنبغ في علوم اللّغة العربية، والشّريعة والمنطق وغيرها، كما خاض مع شيخه حركة الإصلاح، وقد أسندت إليه مشيخة المسجد خلفا لشيخه سنة 1786م، وقام بها أحسن قيام حتّى اعتزل النّاس لفتنة وقعت في المدينة، وتفرّغ للتّأليف موصدا باب مترله مدّة 15 سنة لا يخرج منه إلاّ إذا حزب الأمّة أمر[2]، مشتغلا بالتّدريس والفتوى والتّأليف، فأتحف المكتبة الإسلامية بمجموعة مؤلّفات منها ما هو عمدة المذهب الإباضي في الفقه ككتاب النّيل وشفاء العليل، الذي اختصره ثلاث مرّات، وشرحه قطب الأئمة الشّيخ أطفيش وطبع في 17 مجلدا، والتّاج على المنهاج في 26 جزءا، وتعاظم الموجين، وهو شرح لمرج البحرين للوارجلاني أبو يعقوب يوسف، وغيرها كثير لا يزال مخطوطا، كما ترك مكتبة عامرة انتقلت إلى حفيده محمّد بن صالح الثّميني وهي الآن ببني يسجن باسم مكتبة الاستقامة.

وقد كانت حركة التنقّل العلمية خلال هذه الفترة مزدهرة بحكم الإصلاحات وظهور تَقنِينَات "اتّفاقيات العزّابة" التي كانت تجمع العزّابة باستمرار، ما أحدث نقلة نوعية للقاءات التي كانت تجمع عزّابة قرى وادي مزاب، إذ فيها وجد العلماء والأدباء منهم ضالّتهم ومتنفّسهم من جفاء أقوامهم، كما وازدهرت

---

1. هكذا تؤكّد مختلف الرّوايات و لم يشكّك أحد فيها، إذ المعروف عن التّاريخ الإباضي أنّ أغلبه لم يُدوَّن بل كان يحفظ ويروى ولا يكتب إلى عهد قريب، حيث صار أبناؤه اليوم متحمّسين لتدوينه ونشره.

2. ينظر: الحاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب، ص82.

حركة النّسخ والمراسلة بينهم وبين إباضية عمان وجربة، ولقد وقفت بنفسي على كثير منها فإذا معظم أصحابها ممّن اشتغلوا بنسخ المخطوطات، وإنّ منهم من لا تقلّ منسوخاته عن عشر كتب من الأمّهات[1]، ليس هذا فقط بل إنهم اعتنوا حتّى بتجليدها وزخرفتها وتدبيج خطّها، وكلّ ما يمكن أن يعتبر وقتئذ من المكمّلات الحديثة للتّأليف والنّسخ.

لم تستقم جهود الإصلاح التي بادر بها الشيخان "عمّي يحي" و"ضياء الدّين الثّميني" بسهولة، وذلك لتجذّر الفتن واستفحال الآفات والخرافات، وانتشار الاعتقادات الزّائفة، فلاقا من أجل نشر رسالة الإصلاح أذًى كثيرا.

إن جهود الشيخين في الإصلاح قد جلبت إليها الطلبة من مختلف المشارب والذين صاروا بعد ذلك هم **الأقطاب**، وقد اطلع الشّيخ أطفيَّش على آثارهما وجهودهما في الإصلاح، فكان لها الأثر الكبير في صقل شخصيته الرّافضة للجهل والنّاهية عن المنكر، في زمن لم تختلف طبائع أهله كثيرًا عن طبائع سابقيهم، وممن سيعايشون القُطب أقوامٌ أكثر تشدُّدًا وتعصُّبا.

إنّ العقلية المُصعبية[2] البربرية صعبة المراس ولا تقتنع بسرعة، لذلك فقد استفاد القطب من منهج الشيخين المذكورين في توجيه المجتمع من كل النواحي تقريبًا: الاجتماعية والتربوية والعلمية وحتى الاقتصادية والسياسية، وطوَّر فيها بما يفيد عصره، حتى وإن كانت الظروف لم تتغير كثيرًا عن عصر سابقيه، إلاّ أن قيادة المجتمع تحتاج إلى بذل الكثير من التضحيات الجسيمة.

1. ينظر: فهرس مخطوطات الخزانة العامّة، موسّسة عمّي سعيد غرداية، ط1، 2002، كشّاف النُّسّاخ، 187.
2. المُصعبية: نسبة إلى بني مُصعب أو بني مزاب المشهورين بشدة مراسهم، وهي أيضا كناية عن صعوبتهم.

لعله ومما سبق يتضح لنا جليًا تأثر القُطب ـ رحمه الله ـ بمنهج سلفه الصالح في الدعوة إلى الحق من خلال بعث حلقات التدريس للجميع، حتى ينخرط فيها طلاب العلم من مختلف الشرائح، لأن العلم عنده ليس مرتبطًا بعُمر محدد أو مقصورًا على فئة دون أخرى، كما انبرى هذا العالم الجليل لمحاربة كل مظاهر الجهل والتخلف التي استحوذت على قلوب الجهلاء، وسعى حثيثًا في توحيد الصفوف ونشر قيم الخير والفضيلة.

إن من بين ما يفيد ويعزز ذلك هو تأثر القُطب بعلوم من سبقوه، فقد شرح الشيخ أطفيش "كتاب النيل" للشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني وسمّاه "شرح النيل وشفاء العليل" وقد طبعت هذه الموسوعة العلمية الضخمة أكثر من مرة في 18 مجلدًا، وسيأتي ذكرها مع مؤلفات القطب.

لعل بعض القرّاء قد يستغربون من وضع هذه المقدمة عن جهود الشيخين السالفين في الإصلاح، إلاّ أنني أريد أن أُلفت النظر إلى مدى التأثير والتأثر الحاصل في حركات الإصلاح على مرِّ العقود، فكما تأثر القُطب بجهود الشيخين، فقد تأثر تلاميذ القُطب بشيخهم كذلك، لهذا فلا عجب من الوقوف على التواصل العلمي من الخلف مع السلف، فإن الاستفادة من تجارب السابقين ونقل العلوم والمعارف تكون بذلك.

القُطب أطفَيَّشْ نسبه ومولده:

هو: امحمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى بن اسماعيل ابن محمد بن عبد العزيز بن بكير الحَفصِي، أطفَيَّش أشهر عالم إباضيٌّ بالمغرب الإسلامي في العصور الحديثة، من عائلة شهيرة بالعلماء من بني يسجن، غرداية، الجزائر، من عشيرة آل بامحمد[1]، وينتهي نسبه إلى عمر بن حفص الهنتاتي، من العائلة الحفصية المالكة بتونس بين (625-983هـ/ 1229-1574م)، وفي بعض كتبه يُنهي القُطب نسبه إلى أبي حفص عمر بن الخطاب τ.

يقول عنه تلميذه الشيخ إبراهيم أبو اليقظان في ملحق السير: "منهم الشيخ الحاج امحمد بن يوسف أطفيش الشهير بقُطب الأئمة عند المغاربة، وبقطب المغرب عند المشارقة وهو جدير بحق بهذا اللقب العظيم، فإن علماء المشرق والمغرب كالكواكب تدور على هذا القطب في فلكه الواسع، ويتصل نسبه بسيدنا عمر بن الخطاب τ فهو من بني عدي"[2].

أمَّا لقب "قُطب الأئمة" فقد أطلقه عليه الشيخ عبد الله بن حميد السَّالمي[3] _مجدد العلم بعُمان_ فاشتهر به حتى صار علمًا عليه.

---

1 - آل بامحمد بن عبد العزيز: من أكبر عشائر بني يسجن وأشهرها إلى اليوم وتحوي عائلات عريقة في العلم والدين، وقد رأيت دفترًا صغيرًا بمكتبة الاستقامة ببني يسجن يحوي شجرة نسب هذه العشيرة.

2 - ينظر: ملحق السير، إبراهيم أبو اليقظان، ج3 ص 153، مخطوط.

3 - عبد الله بن حميد السالمي (نور الدين): (1286-1332هـ) علم من أشهر علماء عُمان في العهد الحديث، له مؤلفات عديدة تعد مرجعًا في العقيدة والتوحيد منها: "مشارق الأنوار"، و"دارج الكمال" وغيرها، لقبه القُطب بـ"نور الدين"، وقد عاش 46 سنة فقط وكأنها لبركتها مائة سنة.
ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، تأليف: د.محمد صالح ناصر وسلطان بن مبارك الشيباني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006، ص 271-273.

نشأته ووفاته:

ولد القُطب في مدينة غرداية لما انتقل إليها والده، سنة 1236هـ/ 1820م، وعاش بها طفولته الأولى، ويُعد والده الحاج يوسف من الشخصيات البارزة في وادي مزاب على ذلك العهد، حتى وإن لم يسجل لنا التاريخ كُلَّ آثاره، أمَّا عن السبب المشهور لنفي والده إلى مدينة غرداية فيرجع إلى الخلافات التي كانت تنشب بينه وبين وجهاء بلدته يسجن حول إصلاح الأوضاع الاجتماعية[1].

إلاَّ أنَّ التَّنعُّم بظلِّ الوالد لم يدُم طويلاً للفتى المحمد، فقد توفي الأب والابن لم يتعد الرابعة من عُمُره، فتركه يتيمًا تحت كفالة والدته التي توسَّمتِ فيه بوادر النبوغ فرشَّحته بكل ما تملك لنيل العلم النافع رغم قسوة ظروف الحياة ومرارة العيش، هذه الأم الرءوم هي: مَامَة سَتِّي بنت الحاج سعيد بن عدون بن يوسف بن قاسم بن عمر بن موسى بن يدَّر، من عائلة آل يدر ببني يسجن، وتعتبر هذه الأم الفاضلة بِحقٍّ من الأمهات المكافحات وقد بذلت كلَّ جهدها في سبيل تنشئة ابنها التنشئة الصالحة، وقديمًا قال الشاعر:

وَيَنشَأُ نَاشِئُ الفِتيَانِ مِنَّا عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

وَمَا دَانَ الفَتَى بِحِجًى وَلَكِن يُعَلِّمُهُ التَّدَيُّنَ أَقرَبُوهُ

ويقول عنها المؤرخ الأستاذ محمد علي دبوز: " لقد كان لوالدة القطب أعظم الجهد فيه بوراثتها الشريفة، فكانت هي السبب في اتجاه القطب إلى العلم بعد

---

[1] - هكذا تذكر معظم المصادر ولا أدري بالضبط سببا غير هذا لانتقال والد القطب إلى مدينة غرداية، وقد استشرت عادة نفي الدعاة والعلماء قديمًا من قُراهم بسبب تفشي الجهل والعصبية.

وفاة والده، فلولاها لاتجه اتجاهاً مادياً يُودِي بنبوغه كما أودت المادة والجهل بنبوغ كثير من اليتامى وأبناء الأمهات الجاهلات"[1].

فحينما بلغ محمد بن يوسف أطفيش الخامسة أدخلته أمه في كُتَّاب المسجد لحفظ القرآن، فسطع نجمه أمام أترابه، حيث لم تمر ثلاث سنوات حتى كان الفتى اليافع قد حفظ القرآن الكريم بكامله حفظاً جيداً عن ظهر قلبٍ وهو لم يبلغ بعدُ ثماني سنوات.

لقد فتح هذا النبوغ والذكاء الخارق مع الكفالة الطّيبة الشّهية للفتى امحمد، فسارع لحضور حِلقِ العلمِ في المسجد وفي بعض دور العلماء ـ مع قِلّتهم على عهده ـ، فملأ منها بعض وِطَابِهِ إلاَّ أنّها لم تشف غليله، إذ لم يأخذ منها الشيء الكثير بل انتهى إلى المبادئ فقط، فمن أخيه الأكبر إبراهيم بن يوسف[2] أخذ مبادئ النحو والفقه، وعن الشيخ سعيد بن يوسف وينتن[3] تلقى مبادئ المنطق، وكان يحضر حلقة الشيخ عمر بن سليمان نوح[4] مع أخيه إبراهيم، وحلقة الشيخ الحاج سليمان بن عيسى آل الشيخ[5] في دار التلاميذ اليسجنيين.

---

1 - ينظر: محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، المطبعة التعاونية، 1965م، ج1 ص290 وما بعدها.

2 - إبراهيم بن يوسف: الأخ الأكبر القُطب، تلميذ الشيخ عبد العزيز الثميني، وجد أبو إسحاق إبراهيم أطفيش (ت: 1303هـ/1886م)، ينظر بتفصيل: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2 ص71.

3 - سعيد بن يوسف وينتن: من حكماء مزاب على عهده، ناصر القُطب في نهضته العلمية بعد نبوغه، (حي في: 1267هـ/1847م)، ينظر بتفصيل: نفسه، ج3 ص387.

4 - عمر بن سليمان نوح: من علماء بني يسجن، خلّف بنتًا فاضلة تزوّجها القُطب فوهبت له الخزانة التي ورثتها عن أبيها، (ت: 1292هـ/1875م)، ينظر: نفسه، ج3 ص643.

5 - سليمان بن عيسى: من علماء بني يسجن وأبطالها، تلميذ ضياء الدين الثميني، وصاحب مدرسة علمية رائدة (حي في: 1265هـ/1848م)، ينظر: نفسه، ج3 ص433 وما بعدها.

وقد كان لأخيه إبراهيم الأثر الكبير والفعال في تثقيف شخصية القُطب، ويمكننا أن نستدل على ذلك بما كتبه تلميذه أبو اليقظان، إذ قال: " لما رجع أخوه الشيخ الحاج إبراهيم من المشرق العربي من عُمان ومصر وهو مملوء بأوسع المدارك كما مر بيانه، إذ احتضنه تعليماً وتثقيفاً، فوجد منه بحراً زاخراً، عذباً يروي غلته من العلم والمعرفة، فأخذ حظه منه في سائر العلوم، ثم تفرغ للتدريس والتأليف، وصرف قوة شبابه فيهما إلى آخر عمره"[1].

وعلى ضوء هذا فإن أخاه الحاج إبراهيم، هو من كوَّن فيه الرغبة الخالصة في المعرفة مع التوجيه السليم، حيث درس عليه العلوم الشرعية كالعقيدة والفقه، وعلوم القرآن والمنطق والتاريخ، ثم إن أخاه قد منح له كل كتبه التي جاء بها من المشرق العربي، فدرسها دراسة علمية وقرأها من دون أستاذ حتى تمكن فيها كل التمكن، وفقه مسائلها وأدرك أسرارها.

بعد ذلك شمر امحمد على ساعد الجِد بعزيمة لا تعرف الكلل ولا الملل، يدفعه في ذلك ذكاءه الحاد وذاكرته الوقّادة مع رغبة في طلب العلم لا تعرفُ الحدود.

نشأ الشيخ أطفيش عصاميًا مُعتمدًا على نفسه في طلب العلوم فلم يسافر لتحصيلها بل جعل دأبَهُ الحرص الشديد على اقتناء الكتب واستنساخها لنفسه، مجتهدًا في طلبها من كلّ البُلدان، رغم ضيقِ ذات اليد وبُعدِ المسافات، وقد أقبل على المكتبات يلتهم كنوز المعرفة من بطونها، وساعدته في ذلك بعض الظروف فمن حسن حظه أن دعاه نجل الشيخ عبد العزيز الثميني وفتح له خزانة والده[2]،

---

[1] - ينظر: ملحق السير، إبراهيم أبو اليقظان، ج3 ص 153 وما بعدها، مخطوط.

[2] - خزانة الشيخ ضياء الدين الثميني هي المعروفة اليوم بمكتبة الاستقامة ببني يسجن، غرداية، الجزائر.

ثم وهبت له بعد ذلك زوجته الصالحة عائشة نوح[1] الخزانة التي ورثتها عن أبيها الذي كان عالما، بهذا وجد القطب نفسه أمام عدد من خزائن الكتب، فلم تتق نفسه إلى الرحيل خارج الوطن طلبا للعلم مكتفيا بما حوله من الكنوز.

نبوغه:

لم يكد القُطب يبلغ السادسة عشرة من عُمره حتى جلس للتدريس والتـــأليف، ولمّا بلغ العشرين صار عالم وادي مزاب، ثم في كهولته بلغ درجة الاجتـــهاد، كما يذكر ذلك بنفسه في كتابه شامل الأصل والفرع، ولا أدل على ذلك من نبوغه النحوي، بحيث استطاع أن ينظم كتاب المغني لابن هشام في خمسة آلاف (5000) بيت وعمره لا يزيد على ستة عشرة (16) سنة.

وفاته:

توفي القُطب ــ رحمه الله ــ بعد عمر طويل قضّاه في الطاعات، وقد شهد له جميع من عرفوه من العلماء الأعلام بالرسوخ في العلم، توفّي بمرضٍ دام أســـبوعًا و لم يمرض من قبله بمرض معجزٍ، بعد أن قضى قرابة القـــرن في الجهـــاد العلمـــي والإصلاح الاجتماعي، عن عُمرٍ يناهز 96 سنة.

وتذكر بعض المصادر أنه كان من السبعة المقتولين بالسم سنة 1914م، إذ وضع له أحد العملاء الفرنسيين سُمًّا في حذاءه تسبب في وفاته بعد أسبوع[2]، وتـــوفي يوم السبت 23 ربيع الثاني 1332هـ/ مارس 1914م).

---

1 - عائشة نوح: (ت: 1357هـ/1938م) من عالمات بني يسجن، أخذت العلم عن والدها وعن زوجها القُطب الذي وهبت له خزانة أبيها، ينظر بتفصيل: معجم أعلام الإباضية، ج3 ص499.

2 - لم ينفرد بهذه الرواية إلاّ الشيخ حمو عيسى النوري، نقلا في رواية عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيش، ينظر: حمو عيسى النوري، نبذة من تاريخ المزابيين، ج1 ص326.

معهده:

أنشأ القُطب عام 1253هـ / 1837م معهدًا للتدريس في بني يسجن هـي في الأصل داره، ثم دخل حلقة العزابة، وقد تعرض للنفي من بلدته إلى بلدة بنورة (آت بونور) ومكث بها حوالي عشر سنوات ألف فيها كتبا كثيرة، وتخرج عليه في الفقه بها كثير من الطلبة، ولما عاد إلى بلدته خلف الشيخ الحاج محمد بن عيسى ازبار في مشيخة المسجد في: 25 ديسمبر 1878م/1296هـ.

تخرج على يديه عشرات من التلاميذ، أصبحوا فيما بعد من أبرز العلماء وأجل الشخصيات المجاهدة والداعية، وقد انبثُّوا في معظم أقطار المغرب والعالم الإسلامي، من مْزاب وجربة ونفوسة وعُمان، أشهرهم: سليمان باشا الباروني النفوسي[1]، وسعيد بن تعاريت الجربي[2]، وإبراهيم أبو اليقظان[3]، وأبو إسحاق إبراهيم أطفيش الجزائري[4]، وبابكر بن الحاج مسعود[5]، وصالح بن عمر لعلي[1]،

---

[1] - سليمان باشا الباروني: من زعماء النهضة العربية الإسلامية الحديثة بليبيا، عالم وزعيم مجاهد وأديب، (1870م/1940م)، ينظر بتفصيل أكثر: معجم أعلام الإباضية، ج3 ص426 وما بعدها.

[2] - سعيد ابن تعاريت: من شيوخ جزيرة جربة البارزين، صاحب "رسالة في تراجم علماء الجزيرة" (ت: 1289هـ/1872م)، ينظر: نفسه، ج3 ص375.

[3] - إبراهيم أبو اليقظان: (1888م/1973م) من أعلام الجزائر في العصر الحديث، يعتبر شيخ الصحافة الجزائرية المجاهدة، أصدر ثماني جرائد وطنية إسلامية باللغة العربية بين 1926 و1938م. ينظر: نفسه، ج2 ص52 وما بعدها.

[4] - أبو إسحاق إبراهيم أطفيش الجزائري: (1886/1965م)، من أعلام الجزائر والعالم الإسلامي، عالم وسياسي ومجاهد، وهو شيخ المحققين، من مؤسسي حزب الدستور التونسي، ومؤسس مجلة "المنهاج" بمصر، له تآليف وتحقيقات لكتب عديدة، ينظر: نفسه، ج2 ص44 وما بعدها.

[5] - بابكر بن الحاج مسعود: (ت: 1325هـ/1907م) قاضي بالمحكمة الإباضية بغرداية، يعد من بين تلاميذ القُطب النابغين. ينظر: نفسه، ج2 ص133.

وصالح بن يحيى بن الحاج سليمان آل الشيخ[2]، وأحمد بن الحاج إبراهيم حميد أوجانة، والحاج عمر بن حمو بكلي[3]، والحاج ناصر بن إبراهيم الداغور، ويحي بن صالح باعمارة[4]، والحاج عمر بن يحيى[5]، ومحمد بن صالح بن يحي الثميني[6]، وإبراهيم بن بنوح مطياز[7]، وصالح بن الحاج محمد الداودي، وغيرهم..

لقد أفرغ القُطب من خلال معهده كل جهده في إصلاح سلوك المجتمع ومحاربة الآفات الاجتماعية دون كلل في كل لحظة، وكان هدفه الأول هو خدمة الإسلام قولاً وعملاً، فالإسلام في نظره هو منهج للحياة التي أوجدها الله في طبيعتها الفطرية، إذ يقول الله عز وجل: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّـه

---

1 - صالح بن عمر لعلي: (1870/1928م)، من أجلة علماء بني يسجن ومزاب، من أبرز تلاميذ القُطب وقد خلفه في ميدان الإصلاح والنهضة العلمية الحديثة، ينظر: نفسه، ج3 ص475 وما بعدها.

2 - صالح بن يحي آل الشيخ: (ت: 1948م)، من رجال بني يسجن الثوريين والوطنيين البارزين، العضد الأيمن للشيخ عبد العزيز الثعالبي وأحد مؤسسي الحزب الحر الدستوري التونسي، ممن كان له السبب في نجاح مهمة الحزب خاصة في جمع التبرعات . ينظر: نفسه، ج3 ص487 وما بعدها.

3 - عمر بن حمو بكلي: (1837/1922م)، من أعلام بلدة العطف البارزين، ومن خيرة طلبة القُطب، وهو صاحب آثار ومواقف تاريخية مشهودة. ينظر: نفسه، ج3 ص632 وما بعدها.

4 - يحي بن صالح: (1867/1938م)، من مدينة مليكة بمزاب، وهو قاضيها المفوض بتعيين من شيخه القُطب، استقر في منصبه مدة 36 سنة ولم يُنقَض له فيها أيُّ حُكم. ينظر: نفسه، ج4 ص964.

5 - الحاج عمر بن يحي: (1858/1921م)، من أعلام القرارة ومزاب، ومن بين أنجب تلاميذ القُطب، يعتبر "معهد الحياة" امتداد لمعهده الإصلاحي. ينظر: نفسه، ج3 ص654 وما بعدها.

6 - محمد بن صالح بن يحي الثميني: (1897/1970م)، أحد أفذاذ بني يسجن ورجالها المخلصين، ومن الوطنيين البارزين، عضو اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري التونسي، ومبعوث الحكومة المؤقتة الجزائرية إلى أمريكا والمغرب. ينظر: نفسه، ج4 ص803 وما بعدها.

7 - إبراهيم بن بنوح مطياز: (1885/1981م) من علماء بني يسجن النابغين، من أنصار نادي الترقي التابع لجمعية العلماء، وله كتاب "تاريخ وادي ميزاب". ينظر: نفسه، ج2 ص19 وما بعدها.

الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ" سورة الروم، الآية 30.

منهجه في التدريس:

يعتمد منهج القطب في التدريس على استغلال الوقت والتركيز على التلقين، بحيث تستمرُّ دروسه طيلة أيام الأسبوع من الضحى إلى الزوال إلاّ يوم الجمعة، ثم يزيد دروسًا في المساء بعد العصر.

لا يدرِّس القُطب في الليل إلاّ الغُرباء والنجباء والمتفوقين، لأنه كان في العادة يخصص الليل للتأليف والإجابة عن الرسائل والاستفتاءات وغيرها، وكان مع ذلك متفانيًا في التعليم فقد تصل دروسه إلى أزيد من عشر دروس مختلفة التخصصات في اليوم الواحد.

قد يستعمل القُطب اللسان البربري المحلي "اللهجة المِزابية" عند الاقتضاء، ولا يحاسب تلاميذه على الغياب أو الإبطاء، وإذا رأى منهم تعبًا روَّح عنهم بما يدفعهم إلى النشاط والتركيز، كما كان يولي اهتمامًا بالغًا لأسئلة تلاميذه فيكتبها ويحقق مسائلها، ولا يعجزه شيء عن الرجوع إلى المصادر المختلفة حتى أثناء الدرس.

لقد فتح منهج القُطب في التدريس الباب على مصراعيه لجحافل الطلبة الذين تهاطلوا عليه من كلّ مكان طلبًا للعلم الناقع، وأمام ضيق ذات اليد لم يستطع القطب استقبال كلّ من طلب الدراسة عنده[1]، ومع ذلك فقد تخرَّج على يديه معظم روَّاد الحركات الإصلاحية في مزاب وتونس وليبيا وعُمان كما أسلفت.

[1] - ينظر تيسير التفسير، ج6 ص49. والسلاسل الذهبية، إبراهيم حفار، مخ، ص41.

مكانته العلمية:

لقد سطع نجم القُطب مبكرًا في سماء مزاب والجزائر والعالم الإسلامي، وساهم بذكائه وحسِّه الإسلامي المرهف في تحسيس المسلمين بأهمية العلم وضـــرورته، وكذا بخطورة الاستعمار وسياسته في تجهيل الشعوب وجعلها تابعة له، فعرف المنصفون مكانته العلمية فقدَّروها حقَّ قدرها، وتسارعوا إلى لقائـــه وإرســـال وفود الطلبة إليه، حاملين معهم الهدايا والكتب القيمة من سادتهم ووجهائهم.

فقد أهدى إليه السلطان العثماني عبد الحميد الثاني نيشانًا عندما حل لغز الماء، في مسابقة وقعت بين معاصريه من العلماء، فقال رجال الأكاديمية الفرنـــسية: "نحن أحق وأولى من تركيا في تكريم القُطب اطفيّش"، فـــأعطوا لـــه وســـام الاستحقاق: "لاَبَالْمْ أَكَادِيمِيكْ" (la palm académique).

وقد كانت للقطب مع سعة مداركه مراسلات إلى أبعد الآفاق الإسلامية، فله رسائل مع سلطان زنجبار "بُرغش" الذي كان يدفع له منحة شهرية ويشارك في حركة النهضة بطبع المؤلفات الإباضية، كما كانت له مراسلات كثيرة مع أعلام الفكر الإسلامي لاسيما أهل عُمان إذ تلقى سنة 1298هـ/1881م نسخة من "بيان الشَّرع" لمحمد بن إبراهيم الكِندي العُماني، وهذه الموسوعة تحتوي على 71 مجلداً، وأخرى من "قاموس الشريعة" لجميل بن خميس السعدي التي تحتوي على 92 مجلداً.

ومن هنا فإن جلَّ العلماء الذين عرفوه قد شهدوا له بالتفقه والاجتهاد، وهـــذا الأخير قد ظهر جليًّا في شرحه لمتن كتاب النيل للعلامة عبد العزيـــز الثمـــيني، وعلى أية حال فإن كتاب "شرح النيل وشفاء العليل" يعد موســـوعة فقهيـــة، فالقطب ـــرحمه اللهـــ قد عالج فيه كل القضايا الفقهية بنظرة إسلامية تقوم على

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وآراء المذاهب الإسلامية جلها، هذا وإن القطب لا يأخذ الآراء الفقهية إلا بعد نقدها وغربلتها حتى يحكم لها أو عليها ولو كان هذا الرأي من مذهبه، وفي هذا يقول الأستاذ يحيى بكوش: "إن القطب بحكم مطالعته الكثيرة، إذا وجد بعد ذلك في المسألة ذاتها رأياً لإمام أو شواهد تؤيد موقفه في كتاب ولو كان مخالفه في المذهب لا يتردد في توجيه الحمد لله تعالى على توفيقه إليها".

أما بالنسبة لمنهجه في شرح كتاب النيل فإنه يورد النص الأصلي من الكتاب فيشرح الكلمات الغامضة ويعربها في بعض الحالات ويزيل إبهامها، وبعد ذلك يقدم الأدلة الشرعية والنقلية، ويقيم المسألة من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأراء المذاهب الإسلامية.

إن شرح كتاب النيل يوازي الأمهات الفقهية الكبرى، بحيث أعطى دفعةً جديدة للمذهب الإباضي خاصة، والفقه الإسلامي في عصرنا هذا، ومن هنا قيل إن شرح النيل وشفاء العليل، هو موسوعة فقهية كبرى تقف جنباً إلى جنب مع الموسوعات المذهبية الأخرى الذي تتجه إليها أنظار العلماء والباحثين من جميع البلدان.

مؤلفاته:

لقد بلغ عدد مؤلفات القُطب أكثر من مئة مؤلف في شتى العلوم: الأخلاق، والأصول، والبلاغة، والتفسير، والتجويد، والتوحيد، والتاريخ، والحديث، والحساب، والرسم، والسير، والطب، والصرف، والفقه، والعروض، والفلك، والفلاحة، والفرائض، والفلسفة، واللغة، ومصطلح الحديث، والمنطق، والنحو، والمراسلات المختلفة.. ولعلي أذكر هنا أهم وأبرز مؤلفاته:

أ – علم التفسير:

- هيمان الزاد إلى دار المعاد، مط، ويقع في 13 مجلدًا.
- داعي العمل ليوم الأمل، مخ.
- تيسير التفسير، مط، يقع في 13 جزءًا.

ب – التجويد:

- تلقين التالي لآيات المُتعالي، مخ.
- جامع حرف ورش، مط.

ج – الحديث والسيرة:

- ترتيب الترتيب، إعادة ترتيب مسند الربيع بن حبيب τ، مط، طح.
- وفاء الضمانة بأداء الأمانة، مط.
- جامع الشمل في حديث خير الرسل ρ، مط.
- السيرة الجامعة من المعجزات اللامعة، مخ.
- الغسول من أسماء الرسول، مط، طح.
- رسائل الصلاة على النبي ρ، مخ.
- شرح نونية المديح، مخ.

د – الفقه وأصوله: وهو أوسع مجالات تأليفه.

- فتح الله: شرح شرح مختصر العدل والإنصاف، مخ، في 12 مجلدا.
- جامع الوضع والحاشية، مط. طح.
- شامل الأصل والفرع، مط. طح.
- شرح كتاب النيل وشفاء العليل، مط. طح.
- إطالة الأجور وإزالة الفُجور، مط.

- الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، مط.
- حكم الدخان والسعوط، مط.
- حي على الفلاح (وهي حاشية على كتاب الإيضاح)، مخ.
- القنوان الدانية في مسألة الديوان العانية، مط. طح.
- أساس الطاعات لجميع العبادات، مط.
- كتاب التحفة والتوأم في الفرائض، مط، طح.
- شرح كتاب الزكاة، مخ.

هـ - التوحيد وعلم الكلام والفلسفة:

- شرح عقيدة التوحيد، مط، طح.
- الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقليد، مط، طح.
- فتح الباب للطلاب، شرح معالم الدين، مخ.
- إزهاق الباطل بالعلم الهاطل، مط، طح.
- الجنة في وصف الجنة، مط، طح.
- الرد على الصفرية والأزارقة، مط، طح.

و- اللغة العربية وعلومها:

- نظم متن مُغني اللبيب، في 5000 بيت، مخ، نظمه وهو ابن 16 سنة.
- بيان البيان في علم البيان، مخ.
- إيضاح الدليل إلى علم الخليل، مخ.
- ربيع البديع في علم البديع، مخ.
- تخليص العاني من ربقة جهل المثاني، مخ.
- كتاب الرسم في تعليم الخط، مط، طح.

ز- التاريخ:

- رسالة موسعة في تاريخ وادي ميزاب، مخ.
- الرسالة الشافية في بعض تواريخ أهل ميزاب، مط، طح.
- مسائل السير، مط، طح.
- كشف الغمة، مط، طح.
- الإمكان في ما جاز أن يكون أو كان، مط، طح.

حـ - الفلك والحساب:

- مسلك الفلك، مخ.
- شرح القلصادي، مخ.

ط - تآليف مختلفة:

- تحفة الحب في أصل الطب، مط.
- النحلة في غرس النخلة، مط.
- شرح لغز الماء، مط.
- أجور الشهور على مرور الدهور، مط.
- الذخر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، مط، طح.

أخلاقه وجهاده التربوي:

إن الدعوة الإسلامية التي طالما دعا إليها الشيخ أطفيش تعود إلى إيمانه القوي بنور الإسلام، لأن فضيلة التقوى هي أصل مكارم الأخلاق لأنها نابعة من طهارة القلب الذي لا يائي الناس، ولا تفتر إرادته المخلصة أمام الحواجز التي يتلقاها، قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك". أخرجه أحمد والترمذي، ويقول

الله عز وجل: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاتــه ولا تمــوتن إلا وأنــتم مُسلمون" آل عمران 102.

كان القطب رحمه الله يخاف ربه ويرجوه في كل شيء في قوله وعمله ودعوته الإصلاحية التي رفع لواءها، وهكذا نجد تلميده أبا اليقظان يصف لنا شمائله الأخلاقية قائلاً : "كان شديد الوطأة على الفساق والعصاة، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، شفوقاً على الفقراء والمساكين، كريم النفس، سخي اليد، عطوفاً على الملهوف، يفكر تفكيراً إنسانياً في أوسع آفاقه، شديد الاهتمام بأحوال العالم الإسلامي يفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم، عاملاً بمقتضى الأثر كل من قال وآمن بحق الشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو أخي في الإسلام، تلزمني نحوه حقوق كثيرة، أولها النصح في الله، يقول الله تعالى: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ" (التوبة، 71) "[1].

أمَّا الجوانب الأخرى من شخصية القطب المتمثلة في المعرفة العلمية الــصحيحة، بحيث أنه أدرك البعد العميق للعلم الصحيح ما دام يسعى إلى ســعادة الــدنيا والآخرة، يقول ــرحمه اللهــ الورع بالعلم هو عماد الدين وهو الكــف عمــا يوجب النار، إذن فالعلم الصحيح عنده يجب أن يكون مبنيــاً علــى التقــوى وإخلاص النية لله عز وجل خدمة القرآن الكريم والسنة المطهرة تدريساً وتأليفاً وسلوكاً، وهذا لن يكون إلا لمن التزم بالقيم الأخلاقية الإسلامية العالية وحارب الجهل مهما كانت طبيعته، وهو الأمر الذي لا يحصل إلا لمن اكتسب أمهــات الكتب الدينية والعلمية والمنطقية.

[1] - ينظر: ملحق السير، إبراهيم أبو اليقظان، ج3 ص 154 وما بعدها، مخطوط.

وعلى ضوء هذا فإن الشيخ أطفيش ـ رحمه الله ـ استطاع أن يملك مكتبة عظيمة جداً، بالرغم من الحواجز المادية والطبيعية والبشرية التي تقف أمامه آنذاك، يقول الأستاذ محمد علي دبوز: "وكانت مكتبته تحتوي على آلاف من نفائس الكتب، لقد استطاع بجده وعزيمته الفولاذية وغرامه وشغفه بالعلم أن يملك من الكتب النفيسة في أعماق الصحراء في وقت الفتن وصعوبة المواصلات، وقلة المطابع ما لم يملكه أغلب العلماء الجامعيين اليوم"، إن امتلاك هذه المكتبة العظيمة من القطب رحمه الله لهي دليل كبير على شغفه بالعلم وخدمته، لأن هذا العلم الصحيح لا يقل عن الجهاد بالنفس، ولنتأمل هذا الحديث الشريف: (عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد قال: رسم المداد في ثوب أحدكم إذا كان يكتب به علما كالدم في سبيل الله، ولا يزال ينال به الأجر مادام ذلك المداد في ثوبه) - جامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب-.

بناء على هذا الحديث الشريف نقول: إن القطب رحمه الله قد شمر عن ساعده، فجد كل الجد في البناء التربوي حيث تمكن من إنشاء معهد إسلامي في مدينة بني يزقن محاولاً بذلك إصلاح المجتمع وتربيته تربية إسلامية تقوم على أخلاق القرآن الكريم والسنة النبوية، وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم، والجدير بالملاحظة أيضا هو أن القطب ـ رحمه الله ـ قد شخص تلك الأخلاق الإسلامية في سلوكه وسلوك طلابه الذين عاشوا الإسلام عقيدة وعبادة وسلوكاً، وسخروا كل طاقاتهم الفكرية والمادية لإعلاء بناء الإسلام، وهكذا فإن الطلبة الذين تخرجوا من معهد الشيخ أطفيش حملوا مشعل النهضة الحديثة في العالم الإسلامي.

جهاده الاجتماعي:

إن القطب ـــ رحمه الله ـــ قد سلك نهج الصالحين العاملين في جهاده الإسلامي، إلا أن الوصول إلى هذا الطريق الإصلاحي ليس بالأمر الهين، نظراً إلى سعي معارضيه الذين حاربوه وضايقوه في جهاده، فطالما استفزوه في إصلاحه ليلاً ونهارا، فشعر بأن دائرة السوء تسعى بكل قواها كي تحطمه وتنهي نهضته الإصلاحية في مهدها، كما بين ذلك في رسالة بعثها إلى بعض إخوانه العُمانيين قائلا: (فسلامٌ على الشيخ العالم عبد الله بن حميد والشيخ الفهامة عيسى بن صالح الفارسي من كاتبه أمحمد بن الحاج يوسف، أعذرني يا أخي في تأخير الجواب بعض التأخر وما ذلك إلا لأهوال عظام من النصارى ومن أهل بلدي..).

لاشك أن المجتمعات البشرية لا ولن تخلو من الصراع بين رجال الفضيلة ورجال الرذيلة وبين أهل الحق وأهل الباطل، إلاَّ أن عزيمة الصادقين هي من يكون لها الغلبة في النهاية لأن الباطل ساعة والحق إلى قيام الساعة.

من هنا يتبين لنا من خلال استعراض المسار التاريخي للأحداث التي واكب القُطب أطفيش معظمها، أن هذا الأخير قد خاض معركة الكفاح الاجتماعي لعدة سنوات مبيناً المنهج الإسلامي الصحيح، رافضا كل مظاهر الجمود الفكري والتعصب المذهبي، داعياً إلى العلم النافع وتطهير النفوس من أدناس الجهل والتخلف، مجاهًدا في جهاده الاجتماعي مختلف الأعداء حتى من اشترى الاستعمار ضمائرهم من ضعاف النفوس، ممن سخَّرهم هذا الأخير لمجاهة القُطب في جهاده الإصلاحي.

محاربته للاستعمار الفرنسي:

إن الشيخ أطفيش رحمه الله يمثل الجبهة الصلبة المعارضة لفرنسا عند وصولها إلى وادي مزاب، وكان يدعوا إلى الجهاد وعدم التعامل معها مادياً وعسكرياً، وحتى تجارياً، وهكذا فإن الجنرال الفرنسي "دولاتور" قد سجنه في نوفمبر1882م عند وصوله إلى وادي مزاب بأمر من الوالي العام الجزائري ليقنع العزابة بعدم جدوى وفاعلية مقاومتهم لإلحاق مزاب بالاحتلال الفرنسي، ناسين أو متناسين أن القُطب يعتقد جازمًا أن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، مردِّدًا هذه العبارة الأخيرة في كلّ مرة معتزًّا بالإسلام أيما اعتزاز.

ومن طريف ما يروى عن القُطب أن وفداً فرنسيًّا زاره في الدار التي يدرس فيها وذلك قصد تسليمه وسام الاستحقاق عن حله لُغز الماء الذي حيَّر العلماء، وكان ضمن هذا الوفد القائد العسكري العام الفرنسي في الجزائر ومجموعة من الضباط الفرنسيين والقساوسة، وحينما دخلوا عليه الدار وجدوه جالساً يدرّس طلاّبه، ولما وقفوا أمامه قام القُطب واعتلى بعض الدُّرُج، فطلب منه حاكم التراب أن يترل ليسلمه رئيس الوفد النّيشان، فأجابه القُطب قائلاً: "الإسلام يعلو ولا يعلى عليه"، وعندما دنا منه أحد الجنود ليعلق له الوسام على صدره أرخى له القطب طرف بُرنُسِه من الأسفل وقال له علّقه هنا..

وكان يستدعى مرَّات إلى التحقيق بسبب تجرؤه المستمر على السلطات الاستعمارية في بلدته وسائر قرى مزاب، حتى إنه فُتِّش وسُئل مرَّات عن وضعه الطابع البريدي مقلوبًا إلى الأسفل على أظرفة البريد، وقد يبدوا للبعض بأن هذا السلوك الأخير تصرف ساذج، إلاّ أنه في حقيقة الأمر شكل من أشكال الرفض الصريح والمتواصل لكل أشكال تواجد المستعمر.

رحلاته وأسفاره:

لما ذاع صيتُ القُطب تهافت الطلبة عليه من كل مكان، وطلب الملوك والأمراء لقائه كذلك، فأرسل له الكثير منهم يطلبون تشريفه بزيارة بلدانهم.

إلاّ أنّ اشتغاله المستمر والمتواصل بالتربية والتعليم أخذا جُلّ وقته، فاستعاض عن الرحلات إلى الأمصار البعيدة بالمراسلات المختلفة إلى أولئك الملوك والوجهاء والأعيان، فمن خارج الجزائر راسل شخصيات من البحرين والحجاز، وعُمان ومصر وتونس وجبل نفوسة، والقُسطنطينية وبعض العواصم الأوربية، ولو جمعت تلك المراسلات لكونت مجلدات ضخمة فيها من أنواع المعارف والأخبار التاريخية فوائد كثيرة مهمة.

مع ذلك فهو يزور مدن وادي مزاب باستمرار لإلقاء الدروس والفتوى، مثل عادة زيارته لمدينة بريان التي غالبًا ما تكون مرّتين في السنة في الربيع والخريف، وهذا لإلقاء الدروس والوعظ والإفتاء،.. كما زار مدينة القرارة مرارًا.

وقد زار القطب وارجلان (ورڤلة) سنة 1320هـ/ 1902م، فتلقاه أهلها من خارج المدينة بطلقات البارود احتفاءً بوصوله إليهم، ومكث بها أسبوعين[1].

ويعود سبب قلة رحلات القُطب كما أسلفت إلى أوضاعه الشخصية، كاشتغاله منذ سنٍّ مبكرة بالتدريس الذي تطور من حلقات إلى طبقات، وما يتطلبه ذلك من التفرُّغ والتحضير الجيِّد، أضف إلى ذلك سياسة التضييق الممارسة عليه من طرف المستعمر الفرنسي وأذنابه والتي عانى من ويلاتها القُطب وطلبته الكثير، ولعل من أحقرها إجبارية طلب رخص التنقل بين قرى مزاب وخارجها.

---

[1] - ينظر: إبراهيم بابزيز، كلمة ألقاها بمناسبة مهرجان القطب، حول رحلة هذا الأخير إلى وارجلان، أعمال المهرجان، مكتبة الحاج سعيد محمد، جمعية الشيخ أبي إسحاق لخدمة التراث غرداية، الجزائر.

رحلاته الحجازية:

تُجمع كل المصادر التي بين أيدينا اليوم على أن القُطب أطفيَّش قد حجَّ مـرَّتين في حياته أمَّا الأولى، فقد كانت حوالي سنة 1290هـ/1873م وهي التي يتردد ذكرها كثيرًا في مؤلفاته، وقد مكث في مكة مجاورًا سنة كاملة، درَّس خـلال وجوده هناك كتاب: "السنوسية في عقائد المالكية"، وإن كـان شـرح هـذا الكتاب من طرف القُطب لم يصل إلينا[1]، ثم دَوَّنَ في تلـك الرحلـة معظـم ملاحظاته ولقاءاته مع الشخصيات والعلماء، وألَّف فيها كتابه الشهير في المنطق وهو: "إيضاح المنطق في بلاد المشرق"[2]، وقد كتب القُطب على وجه الورقـة الأولى ما يأتي: "إيضاح المنطق في بلاد المشرق، أَلَّفتُهُ في مكة، ولعلمـاء مكـة تطاول إليه، وذلك في عهد الشيوخ الشافعيين دَحـلاَن ومحمـد حَـسبِيَ الله ورَحمَة[3]، والشيوخ الحنفيين عجمًا وعربًا، فمن العجم التركيين الشيخ محمـد

1. يوجد متن السنوسية نظمًا في بعض الكتب الحجرية، أمَّا شرحه من طرف القُطب فلم يصل إلينا بَعد.. لقاء مع الحافظ الحاج سليمان بكاي، بمكتبة الاستقامة، بيني يسجن، بتاريخ: 2007/07/17.

2. ويوجد هذا الكتاب مخطوطًا بمكتبة الاستقامة ببني يسجن، رقمه في الخزانة (أ): 18، وفي الفهـرس: 212، ويقع في 239 صفحة، قياس 27×19سم، كامل، وهو بخط القُطب أطفيَّش ـ رحمه الله ـ.

3. أحمد بن زيني دحلان: (1232_1304هـ/1817-1886م)، فقيه مكي مورخ تولى الإفتاء والتدريس بمكة، وفي أيامه أنشئت أول مطبعة بمكة فطبع فيها بعض كتبه ومات بالمدينة، من تصانيفه: "الفتوحات الإسلامية". ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط11، 1995، ج1، ص130.

محمد حسب الله بن سليمان المكي الشافعي: (1244_1335هـ/1828_1917م)، فقيه أصولي، من آثاره: "الرياضة البديعة في أصول الدين وبعض فروع الشريعة"، وحاشية على مناسك الحج للخطيب الـشربيني. ينظر: نفسه، ج6، ص152.

رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي الحنفي: (ت: 1303هـ/1888م)، نزيل الحرمين، باحث، عـالم بالـدين والمناظرة، جاور بمكة وتوفي بها، له كتب منها: "إظهار الحق"، جزآن، وهو من أفضل الكتب في موضوعه. ينظر: نفسه، ج3، ص18.

حقي بن علي بن إبراهيم[1] مؤلف "حزب الأبرار وحصن الأخيار" وغير ذلك، وكلهم محبُّون لي ولأموري"، وقد أعار القُطب هذا الكتاب لملك زنجبار سعيد بن علي الصقري وهذا بعد عودته من الحج ليقوم بطبعه على نفقتـه الخاصـة، وهو ما ورد في عبارة صغيرة على جانب الورقة الأولى نفسها بخـط القُطـب نفسه وهي: "إلى الشيخ سعيد بن علي الصقري يطبعه ويردّه إلى مؤلفه المحمـد بن الحاج يوسف مع نُسخة من مطبعة، لأنه لما يُنسخ".

أما رحلته الحجازية الثانية فقد كانت سنة 1303هـ/1886م وقـد كتب فيها "قصيدته الحجازية" وذكر فيها مسلك رحلته تلك إلى الحجاز ذهابًا وإيابًا، وأهم المدن التي نزل بها، والناس الذين اجتمع بهم في كلّ مرحلة، وقـد عاد منها مع بداية سنة 1304هـ.

أمَّا عن تاريخ الرحلة الحجازية الأولى ـ نقلاً من ثنايا بعض مؤلفاته ـ فيقـول: "..وكتابة العلوم بالقالب[2] فإنه أحدثت سنة ثمـان وثلاثـين ومائـة وألـف (1138هـ) فتشاور علماء اسطنبول بينهم مرارًا واتفقت آرائهم على جوازها، وأفتى به قاضي القضاة عبد الله أفندي وأراده السلطان أحمد الغـازي، ذكـره الشيخ محمد حقّي بن علي بن إبراهيم التركي الحنفي في "منبع الحقائق" والتقيت معه في مكة عام ألف ومائتين وتسعين تقريبًا (1290هـ/1873م) وكان يُحبني

1. محمد حقي بن علي بن إبراهيم النازلي: (1301هـ/1884م)، فاضل متصوف من علماء "آيدين" توفي بمكة، له مؤلفات عديدة منها: "السنوحات المكية" و"تفهيم الإخوان بجويد القرآن". ينظر: السابق، ج6، ص108.

2. يعني بداية العمل بالطباعة الحجرية.

ويقبل يدي في المسجد الحرام بحضرة الناس، حتى قام عليه الناس ونبّهوه أنني لست من الأشعرية، فترك ذلك خوفًا منهم مع بقاء رغبته فيّ.."[1].

ويقول عنها أيضًا في جوابه للعُقبي والشهير بـ"إن لم تعرف الإباضية": "..وإن لم تعرف الإباضية فقد عرفهم الشيخ إبراهيم حقّي العالم التُّركي المؤلف إذ خدمني في المسجد الحرام حتى حسدني أهل مكة وقد عرف أنّي إِبَاضِيٌّ وطلب أن أعطيه حكمة في علم الجدول"[2].

إلى أن يصل إلى القول: "..وإن لم تعرف الإباضية فقد عرفهم دَحلاَن وحَسبي الله الشَّافعيان، الحاضر أحدهما في إقرائي في المسجد الحرام تآليف السنوسي في التوحيد بحواشيه وأبحاثه وشروحه لجماعة في أُبّهةٍ عظيمة من أهل عُمان ومُضاب وأهل الجبل جبل نفوسة من أعمال طرابلس الغرب.."[3].

ويقول في كتاب تعليم الرَّسم: "أمَّا المصاحف الكبار فلا تغير عن الإمام وهي كتب كبار بخط غليظ جدا متفاسح السطور والحروف، لا تحتمل الحمل إلى المحاضر والكتاب، تجعل على محامل وقد شاهدتها في المدن الكبار بتلك الصفة ككتب السلطان في مصر وفي وكالة الجاموس للإباضية قرب مسجد ابن طولون في مصر جزء منها ولم يكن في رواقهم الذي في الجامع الأزهر وهو رواق لهم عند رواق المالكية في الجامع الأزهر قريبًا من رواق السعد التفتازاني

---

1 - ينظر: القُطب أطفيش، الذخر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، طح، ص240.

2 - ينظر: القُطب أطفيش،"إن لم تعرف الإباضية، طح، ص10 و11.

3 - ينظر: نفسه، ص11 و12.

وهو مالكي لا شافعي، ولذلك تراه يشرح كتب المالكية ويحشي عليها كما حشَّى على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه."[1]

وقد وقفت بعد ذلك على وثيقة تاريخية مهمَّة وشهادة من ابن الشيخ حمزة الرِّفاعِي إمام المدينة نقلها عن والده مباشرة لبعض إخواننا المزابيين من الحجاج عندما زاروا المدينة المنورة وأرادوا الإطلاع على المزيد من أخبار القُطب حينما زار البقاع المقدسة والتقى بعلماء الحجاز، فقلت لابد من نقلها للأمانة التاريخية ليحصل بعض الفائدة العلمية لمن أراد الإطلاع عليها، وليطمئن الشَّاك ويتحقق من صحة المعلومات التي ذكرها القُطب عن إكرام أهل الحجاز له.

يقول كاتب الرسالة أحمد بن حمزة الرِّفاعي:

1/"..وبعد، لقد طلب مني بعض الأفاضل الإباضية أن أكتب لهم نبذة عن زيارة العلاَّمة الجليل الإمام الحاج الشيخ محمد بن يوسف الطفيش[2] الإباضي المزابي الجزائري حينما قدِم إلى المدينة المنورة سنة 1298هـ ـعلى ما أذكرـ لزيارة قبر النبي ρ، فلبَّيتُ طلبهم بما سمعته من والدي المرحوم الشيخ حمزة الرفاعي المديني وطنًا الشافعي مذهبًا، الذي ترجم عنه في رحلته الحجازية المطبوعة سنة 1333هـ فضيلة العلم يدَّر الحاج أحمد[3] قاضي الإباضية في بلاد معسكر إيالة الجزائر عمالة وهران ـرحمه اللهـ.

---

1 - ينظر: القُطب أطفيش، كتاب تعليم الرسم، طح، ص10 و11.

2 - هو القُطب أطفيش نفسه.

3 - للأسف لم أصل إلى معرفة هذا القاضي المزابي في بلاد معسكر، ولم أجد اسمه بين تلاميذ القُطب الذين قام بتعيينهم بأمر منه في مختلف مناطق تواجد المزابيين على غرار قصور وادي مزاب، غير أنه يبقى دون شك أنه من مدينة بني يسجن وذلك لاعتبارين أولهما: أن اللقب العائلي "يدَّر" لا يوجد إلاّ بني يسجن، وثانيهما أنّ معسكر عمرها تجار بني يسجن أكثر من غيرهم ولا زالوا فيها إلى اليوم.

تبيين للحقيقة

2/ هو أنه كان في عهد الدولة العثمانية من مآت السنين تعـين أدلاء لوفـود حجاج ضيوف الرحمن للقيام بمصالحهم وراحتهم وصيانتهم وزيـارتهم لتلـك المآثر الشريفة مدة إقامتهم وترحالهم.

يوجد وجرى ذلك في عهد الحكومة الهاشمية وكذا جرى ذلك في عهد حكومة الدولة العربية السعودية _حفظها الله وأيدها_.

3/ وقد كان نصيب السيد أحمد السَّمهُودي المدني _رحمه الله_ دلالـة القطـر الجزائري وسائر أعماله دليلا رسميًّا بموجب تقرير خطي صادر من ولاة الأمر في ذلك الحين، وبعد وفاة السيد أحمد السَّمهُودي المذكور آل تقرير الجزائر رسميًّا إرثًا لبناته لأنه لم يُعقّب ولدًا ذكرًا له.

لذا كنَّ بنات المتوفي المذكور يوكلن أحد أقـاربهن للقيـام بزيـارة الحجـاج الجزائريين وسائر أعماله حسب المعتاد والجاري به العمل قديمًا وحديثًا.

فبعد وفات بنات السيد أحمد السَّمهُودي انحصر إرثه في أحد بناته وهي الشريفة فاطمة جدتي والدة والدي المرحوم الشيخ حمزة الرِّفاعي السالف الذكر الـذي يتَّصل نسبها بالعلامة الجليل مؤرخ المدينة المنورة نور الدين علـي بـن أحمـد السَّمهُودي مؤلف كتاب: "وفاء الوفاء في أخبار دار المصطفى" ومؤلف كتاب: "خلاصة الوفاء في أخبار قبر المصطفى ρ" المتوفى سنة 911هـ المدفون في بقيع الغرقد بالمدينة المنورة _رحمه الله_ ثم آلت دلالة القطر الجزائري إرثًـا رسميًّـا لوالدي الراحل الشيخ حمزة الرفاعي المدني، ثم بعد وفاته آلت دلالـة القطـر الجزائري لورثته أولاده بموجب تقرير خطي رسمي من ولاة الأمر الذي لعبد الله أحدهم ومنهم أحمد بن حمزة الرفاعي المدني موطنًا الشافعي مـذهبًا وإخوتـه

الموجودين اليوم في قيد الحياة بالمدينة المنورة على سكانها أفضل الصلاة وأتم السلام.

احترام وتقدير

4/ قد كان العلامة الجليل الشيخ الحاج محمد بن يوسف الطفيش ـ رحمه الله ـ مدَّة إقامته نزيلاً ضيفًا عزيزًا مُحاطًا بحفاوة وإكرام ومن معه من الطلبة لدى والدي الراحل في دارنا بباب المجيدي لقربها من المسجد النبوي الشريف الذي كانت قديمًا نُزلاً لجميع حجاج الإباضية من ميزاب وذلك قبل أن تكون لهم دار وقف لسكناهم بالمدينة المنورة على سكانها أفضل الصلاة وأتم السلام.

* ملحوظة *

قد طلب الشيخ الحاج محمد بن يوسف الطفيش من والدي أن يُلقي درسًا تبرُّكًا من تفسير القرآن العظيم في المسجد النبوي الشريف.

وبما أن القاعدة الجارية المتبعة في عهد حكومة الدولة العثمانية هو أنه لا يسوغ لأي عالم يَقدُم من الخارج أن يلقي درسًا في المسجد النبوي الشريف إلاَّ بعد صدور الإذن له من مُفتي المدينة المنورة حينذاك.

فذهب والدي منفردًا لفضيلة مُفتي المدينة المنورة العلامة الجليل الشيخ محمد بالي المدني الحنفي ـ رحمه الله ـ لطلب الإذن لضيفه الشيخ محمد بن يوسف الطفيش السالف الذكر، فكان سؤال الشيخ المفتي لوالدي ما هو مذهب ضيفكم؟ فكان جواب والدي: مذهبه إباضي، فأجاب الشيخ المفتي لوالدي: لا يسوغ لأي عالم يأتي من الخارج مذهبه خارجًا عن المذاهب الأربعة أن يدرِّس في المسجد النبوي الشريف كما هو الجاري والمعتاد.

فأجاب والدي ـرحمه اللهـ للشيخ المفتي: عندي ملحوظة وهي إذا استحسن نظر فضيلتكم عيِّنوا خلف درسه عُلماء، فإذا ظهر منه في درسه ما يخالف الكتاب والسنة، يَمنعوه حالاً، فوافق المفتي على طلب والدي وأذِنَ للشيخ الطفيش المذكور بالتدريس في المسجد النبوي الشريف، فابتدأ الشيخ الطفيش بتفسير آخر بتفسير آخر سورة البقرة الشريفة، "لله ما في السماوات والأرض" إلى آخر السورة فابتدأ ساعة واحدة في اليوم الأول وساعة واحدة في اليوم الثاني وساعة واحدة في اليوم الثالث وختمها بالدعاء للإسلام والمسلمين، ولم يعترض عليه أحد من العلماء لمنعه، وكان موضوع درسه بالقرب من الموضع الذي يصعد إليه المؤذن ليبلغ إقامة الصلاة للمسلمين".

هذا ما سمعته من والدي ـرحمه اللهـ يقول محرره: ما أسعدها من رحلة من حرم إلى حرم، بقلم أحمد بن حمزة الرِّفاعي المدني وطنًا الشافعي مذهبًا، خادم خدام الحرم النبوي الشريف ومنيره ـعفى الله عنهـ"[1].

هذا عن الرحلة الأولى، أمَّا الثانية فقد كثر الحديث عنها وتضارب بعضه، خاصة فيما يتعلق بالأسباب الداعية إليها والوفد المرافق له وتفاصيل الرحلة وغيرها...، ذلك لأن القُطب ـرحمه اللهـ لم يفصل كثيرًا في قصيدته ولم يترك آثارًا نثرية تدل عليها مثلما فعل في الأولى، ولعلها ضاعت مع عوادي الزمن، إلاَّ أنَّ هناك من الملاحظات ما ورد في ثنايا قصيدته الحجازية المتطاولة، وهو ما يمكن أن نعلق عليه فنتثبت بذلك صحته.

---

[1] - رسالة من الشيخ أحمد بن حمزة الرفاعي إلى قاضي الجماعة الإباضية في أيالة مُعسكر عمالة وهران، كلها، 3 صفحات، منها نسخة مصورة بحوزة الباحث.

ظروف الرحلة:

تذكر المصادر الشفوية المعتمدة أن من أهم بواعث رحلة القطب الثانية إلى الحجاز هو: تصحيحه للمفهوم الخاطئ الذي ساد مزاب ردحًا من الزمن، والذي كان يقضي بعدم السماح للمرأة بالسفر خارج مزاب إلاَّ لضرورة قُصوى مُلحة كالعلاج مثلاً، أمَّا ما سوى ذلك فلا، فأُسقِطَ بسبب ذلك الركن الخامس في الإسلام وهو الحج، طيلة عقود من الزمن.

وللإشارة فإن هذه الظاهرة لم تكن بعيدة عن زمن القُطب فقد ذكر قبله بعقود قليلة الشيخ إبراهيم بن بحمان الثميني اليَسجني[1] هذه الظاهرة التي عرفها عصره بمزاب وما حولها، وقد أرجعها إلى تشبُّث الناس بعَرَضِ الحياة الدنيا ونقص الوازع الديني عندهم، فاضحًا تحجُّجَهم وتستُّرهُم بانعدام الأمن في الطريق، قائلاً: "..هذا وإن الناس قد استخفوا بحق الله في الحج في هذا الزمان، فصار عندهم كأنه تطوعٌ وفضيلة، وأسقطوا فرضه وطرحوه بزاوية الهجران، وتقوَّلوا فيه بعض الأقاويل الكاذبة، وتعلَّلوا بالعلل الواهية الساقطة، فقالوا: إن طُرقه مشحونة بالآفات، مسدودة بالمخافات من كل الجهات، أولاَ ينظرون إلى الناس في كل عام يرجعون من زيارة البيت والمقام سالمين الأجساد والأبدان، في كل سبيل وبلد من طوائف الدهر ونوائب الزمان؟! ...فلو قيل لهؤلاء إنكم قد ورثتم بمكة أو أقصى بلد منها مثلاً ألف درهم أو مائة دينار، لقطعوا إليها سَهل المفاوز وَوَعرَها آناء الليل وأطراف النهار، وخلعوا عن أنفسهم حينئذ ثياب

1. إبراهيم بن بحمان: (ت: 1832هـ/1817م)، عالم جليل عاصر الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني، له مؤلفات عديدة ومراسلات تاريخية مهمة مع داي الجزائر حسن باشا الدُولاتلي بخصوص قضية صالح باي. ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص22.

العجز والكسل، وأسرعوا إليها المشي حُفاة الرؤوس والأرجل، وبلغوا إليها فرحين بلا مهملة وتوانٍ مستبشرين.."[1].

لعل القارئ يستدل من كلام الشيخ ابن بِحمان على أن الناس بالفعل قد استخفوا بفريضة الحج بسبب الجهل ونقص الوازع الديني، وهو ما بقي عالقًا في اعتقادات الناس إلى زمن القُطب، إلاّ أنني لا أستبعد كذلك العامل الأمني فهو أحد الأسباب الفعلية المباشرة والقوية لتراجع قوافل الحجاج إلى بيت الله الحرام طيلة عقود من الزمن، فقد كانت بالفعل وفود الحجاج إلى الحجاز تعقد قبل انطلاقها في الرحلة أحلافًا وتجمع إليها ما أمكنها من القبائل في قوافل كبيرة يردون بها وحشية اللصوص والمغيرين الذين لا يرحمون صغيرا ولا كبيرًا، والذين لا يتورعون عن إزهاق الأرواح في سبيل سرقة كلّ ما خَفَّ وَغَلَى من متاع الحجاج المسافرين.

لقد اصطحب القُطب أطفيَّش في رحلته هذه معظم تلاميذه النجباء المخلصين، كما أخذ معه زَوجَهُ مريامة فرطاس[2]، بعد أن استعان ببعض فَادِيه ممن هيَّأ له بغلاً يحمل هودج زوجِه، ولعل من أبرز أنصاره وأقربهم إليه في هذه الرحلة الشيخ عمر بن حمو وفي رواية مع والده الشيخ حمو بن باحمد بكلي، غير أني لم أجد ما يثبت ذلك، وقد تكفّلوا بتوفير معظم ظروف الرحلة ومنها الزاد والسلاح والحماية..، غير أن "ساعد القُطب الأيمن" الشيخ عمر بن حمو بكلي كما جاء ذكره ومدح خصاله في بداية القصيدة الحجازية[3]، قد كان له دور

1. إبراهيم بن بحمان التميني، مختصر المناسك ومهذب المسالك، مكتبة القُطب، بني يسجن، مخ، ص4، 5.
2. هي زوجة القُطب الثالثة، من عائلة فرطاس من بني يسجن، لقاء مع الحاج سليمان بكاي، 2007/07/17.
3. لقد مدحه القُطب كما مدح أهل قريته العطف، الأبيات من 5 إلى 10، ينظر: القصيدة الحجازية فيما يأتي.

أساسي وفعال في نجاح هذه الرحلة الطويلة والشاقة، ولا شك أنّ سبب اعتماد القُطب على هذا الرجل كان لما يتمتّع به هذا الأخير من ذكـاء وحـصافة في الرأي مع البسالة والإقدام التي ورثها عن أبيه البطل الشيخ حمو بن باحمد.

ولا أدري إن كان مع الوفد المرافق للقُطب أناسٌ كثيرون من بني يسجن، إلاّ أن يكون قد اختار لموعد رحلته أقربهم إليه وأوثقهم صلة بـه، لأن الكـثير مـن المعارضين لهذه الرحلة قد وقفوا له بالمرصاد خاصة في مسألة سـفر الزوجـة خارج مزاب حتى قيل إنّ هناك من استعد لإيقافه ومنعه من أخذ زوجه معـه، حتى وإن اضطر في ذلك إلى استعمال قوة السلاح[1].

لقد ضَرَب القُطب لمرافقيه موعدًا هو ضحى يوم الخميس للخروج مـن يسجن ثم من مزاب، وقد اختار وقت الضحى لاشـتغال النـاس بأعمـالهم وبساتينهم، كما هي طبيعة أهل بلدته فمعظمهم يشتغلون بالفلاحة في بساتينهم الموجودة في الجهة الغربية من البلدة، في حين أن باب الخروج إلى الشمال هـو الباب الشرقي، وبهذا انشغل عنه معارضوه عند انصرافه مـن بلدتـه، وتلقـاه أصحابه مع زوجه خارج سور بني يسجن فحملوها في هودج على بغل كانوا قد أعدوه لذلك، وقد جاء ذكر صاحب الهودج والبغـل في آخـر القـصيدة الحجازية وهو عيسى بن صالح[2]، كما دعا له الشيخ بالخير والبركة.

انطلق الركب في سرّية تامة وتحت حراسة مشددة من مرافقي القُطـب باتجاه بلدة بريان التي تبعد عن مزاب بـ40كم إلى الشمال، ونجحت بـذلك

1. همَّ بذلك أفراد من أقاربها، ذكر لي ذلك الحاج سليمان بكاي، في نفس اللقاء بتاريخ: 2007/07/17.
2. لعله من آل عشُو من بني يسجن، ذكر لي ذلك الحاج سليمان بكاي، في نفس اللقاء بتاريخ: 2007/07/17.

الخطة المُسطرة، وحُجِبَ القُطب ـ بحفظ الله ـ عن عيون حرّاس أسوار المدينة ومن كل من يكيد له العَداء، ليصل إلى بريان في صباح يوم الجمعة.

وعن اسم بريان فيقول القُطب: "ريَّان هو اسم لحافرها أضيف له البئر، أو معناه برٌّ قد ارتَوى بوصف وموصوف.."[1]، لعل القارئ سيلاحظ أنه من عادة القُطب شرح أصل تسمية كل مدينة يترل ها كما سيأتي بيان ذلك في كل مرة في القصيدة الحجازية.

لم يكد يوم الخميس ينتهي ببلدة يسجن حتى كان خبر سفر القُطب مع زوجه إلى الحج قد بلغ أقاصي المدينة، فسارع المعارضون إلى جمع شتاهم من أجل اللحاق بركب المسافرين قبل وصولهم إلى بلدة بريان، في تلك الأثناء كان القُطب ومرافقوه ينعمون بالراحة التامة استعدادًا لمواصلة الرحلة في تلك الليلة، وهم متيقّنون من أنّ المناوئين لاشك سيلحقون بهم، وفعلاً صار الأمر كذلك ووقع المحذور، حيث وصلت إلى بريان مساء الجمعة جماعة من الخيَّالة تطلب لقاء القُطب وتُلحُّ في الطلبَ.

استسمحهم وجيه القوم قائلاً بأن القُطب ضيف بريَّان وهو متعبٌ الآن وسيرى في أمرهم في أقرب فرصة ممكنة، وفي رواية أخرى قال لهم بأن القُطب جالس يُفتي لأهل بريان في مسائل قدَّموها إليه، ولن يستقبل أحدًا من غير سكان بريان حتى يأتوا بجميع ما عندهم من المسائل؛ وقد جرت العادة أن يسافر القُطب إلى بريان مرتين في السنة من أجل إلقاء الدروس والإفتاء، ومن ثمَّ فإن حظهم من نصيب الشيخ قد حضر ولن يشاركهم فيه أحد من أهالي مزاب، فاقتنع الخيالة بذلك وجلسوا ينتظرون طلوع الشمس.

---

1. ينظر: القصيدة الحجازية، القُطب أطفيَّش، البيتين 21، 22.

في تلك الأثناء كان القُطب ومن معه قد جددوا الرحلة إلى الشمال بعد أن حضَّر لهم أعيان البلدة الزاد والدليل الذي يفتح لهم الطريق باتجـــاه مدينـــة الأغواط التي وصلوها بعد مسيرة يوم وليلة.

مرَّ يومان على انتظار الخيَّالة القادمين من مـــزاب لـــدورِهم في مقابلـــة القُطب، حتى جاءهم الخبر بأن القُطب قد جدد الرحلة منذ يومين وهـــو الآن على مشارف على مدينة الجلفة التي تبعد عن بريان بحوالي 270كم إلى الشمال، عندئذ سُقط في أيدي أولئك الخيالة ما دبَّروا وخطَّطوا، ولما علموا بأنـــه قـــد أحيط بهم استسلموا عائدين إلى مزاب وهم أذلة خانعين، لأن بُعد المسافة وقلَّة الزاد والرفيق سيجبرهم حتمًا على العودة من حيث أتوا؛ وبهذا طويت صـــفحة المعارضين لرحلة القُطب مع زوجه إلى الحجاز، ليكمل بذلك ركب الحجَّـــاج بقية الرحلة بسلام.

لقد تلق القُطب والركب المرافق له في كل محطة يصلون إليهـــا كرمًـــا حاتميا، وحفاوة في الاستقبال والتوديع منقطع النظير، وهو دون شك اعتـــراف بمكانته العلمية ومركزه الديني والاجتماعي المرموق، فحين دخل مدينة الأغواط استقبله أهلها بحفاوة كبيرة، ثم ما لبث أن التفَّت به الجموع للتحية والـــسلام، واغتنم بعض الحاضرين فرصة وجوده لإلقاء بعض الأسئلة والاستفـــسارات في حضرته، فأجابهم القُطب مستبشرًا كعادته، مرتاحًا لسؤال الناس عن شـــؤون دينهم وتحيرهم عليه كحيرتهم على شؤون دُنياهُم.

أما عن اسم الأغواط فيقول القُطب: "تسمى كذلك لأن أرضها بعـــضه منخفض وبعضها الآخر عالٍ.."[1].

---

1. ينظر: القصيدة الحجازية، القُطب أطفيَّش، البيت 24.

بعد مسيرة يوم وليلة دخل ركب القُطب مدينة الجلفة العامرة، فحــظي باستقبال كبير من سكنها لاسيما منهم جموع بني مزاب مــن التجــار، فهــم متواجدون بها بكثرة منذ قديم الزمان وخاصة منهم تجّار بلدة العطف (تجنينت)، الذين انصهروا في المجتمع "النّايلي" وكوّنوا علاقات حميمة مع ســكان المدينــة وكذلك البدو الذين يقصدون محلات المزابيين بكثرة لشُهرتهم بالصدق والأمانة.

نزل القطب ومرافقوه ضيوفًا عند المدعو باحمد بن صــالح الــسماوي[1] وهو من التجار المزابيين المرموقين بالجلفة، وقد استدعى هذا الأخــير للــضيافة أيضًا عنده ـ بمناسبة حضور القُطب ـ بعض أعيان المدينة وأشــرافها ومنــهم أشراف عرش أولاد نايل[2] وأشراف بن لحسن[3]، وأحد الكرمــاء الأســخياء ويدعى بلقاسم من أولاد بلّحرش[4] وغيرهم، وقد أمضى القُطب معهم ساعات طيبة، كما مدحهم طويلاً وذكر مناقبهم العديدة في قصيدته الحجازية.

---

1. باحمد بن صالح: من آل السماوي من العطف، من تجار مدينة الجلفة المرموقين على عهده، وقــد ورد علــى هامش النسختين (ع) و(ب): [هو جد حمو السماوي]، وهو ما أكده لي بعض آل سماوي. وهو سليل عائلة مرموقة، شارك معظم أبنائها في الثورة التحريرية المظفرة، ولا زال لبعضهم تجارة وعقارات بالجلفة ومسعد. لقاء مع الأستاذ المحامي: سماوي عمر بن عيسى، بمكتبه بغرداية، بتاريخ: 2007/07/15.
2. أولاد نايل: من أكبر القبائل في الجزائر تنحدر من أصول عربية، تنسب هذه القبيلة إلى محمد بن عبد الله سيدي نائل بن الأمير إدريس بن عبد الله الكامل مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى هو عبد الله الكامــل بــن الحسن المثنى بن الحسن السبط من ذرية الإمام علي كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء بنت محمد ρ.
3. أولاد بن لحسن: نسبة إلى السبط الحسن بن الإمام علي كرم الله وجهه، وهو عرش شهير بالجلفة إلى اليوم.
4. أولاد بن لحرش: من أعرق العروش في مدينة الجلفة وأشهرها، ينحدر منها آل بن شريف المعروفين.

وعن تسمية الجلفة يقول القُطب: "تسمى كذلك لأن أهلها من طبيعتهم القُلف في السخاء والكرم، والقِلف من العَيْشِ: الرغدُ الناعِمُ، ومنها سَنَةٌ قَلْفاءُ: أي مُخْصِبَةٌ وعامٌ أقْلَفُ مُخصب كذلك.."[1].

بعد يوم أو يومين جدد الركب الرحلة إلى الشمال باتجاه مدينة المدية، وفي طريقه إليها ذكر الشيخ بعض ما شاهده من طبائع الأقوام المنافية للشرع الحنيف، ومنها حلق اللحية والاستطالة في الشوارب، وقد بين وجه الدين في ذلك، وذكر ما يلزم صاحبها من أداء الكفّارات مع التوبة والإنابة.

وغير بعيد عن المديَّة جاءه الخبر بأنَّ الأوربيين يتحدثون عن كروية الأرض ويتمارون في ذلك فحاججهم بقوله تعالى: "والشمس تجري لمستقر لها، ذلك تقدير العزيز العليم" سورة ياسين، آية 38. وهو الدليل الواضح على كروية الأرض وعدم استقرارها، وبدورانها حول نفسها وحول الشمس.

ولما دخل المديَّةَ صادف ردَّ الفرنسيين مسجدًا للمسلمين كانوا قد احتلوه أو احتله أغياظ اليهود، فوقف فيه مخاطبًا المسلمين مهنِّئًا لهم على استرجاعهم له.

بعد مسيرة يوم وصل القطب مدينة البليدة وفيها تلقى ترحيبًا جماهيريًا كبيرًا من سكانها ومن التجار المزابيين بها كذلك، وقد اغتنم بعض الطلبة الفرصة للسؤال وطلب الفتوى فكان القُطب يجيبهم مستبشرًا من دون تردد.

وكذلك سار الأمر مع القُطب والوفد المرافق له عندما دخلوا مدينة الجزائر التي كانت تُعرف قديمًا بجزائر بني مزغنَّة، حيث تسارعت إليه الوفود بأنواع من الاحتفال ومجالس الأنس والذكر وطلب الفتوى.

---

1. ينظر: القصيدة الحجازية، القُطب أطفيَّش، البيت 24.

أيامًا بعد ذلك اكترى وفد الحجاج سفينة إسبانية أصحابها من سكان جبل طارق، لتقلهم عبر البحر المتوسط إلى الحجاز، وقد مرت السفينة بجزر صقلية وسردينيا التي تقابل تونس في البحر، كما وصفها بذلك القُطب.

وصلت السفينة التي تقل وفد الحجيج إلى ميناء الإسكندرية بعد أيام قليلة، فرست هناك بعض اليوم ثم شقت طريقها باتجاه بحر القُلزم أو البحر الأحمر عبر قناة السويس، وقد وصف الشيخ أطفيَّش كيف شقت الجبال الراسيات وصار بها معبر كبير للسفن المتنوعة.

مسيرة أيام حتى حل الركب ميناء جدة وهم فرحين مستبشرين بوصولهم سالمين غانمين إلى أرض الحجاز، فساروا إلى البيت الحرام وكلهم شوق إلى رؤية البيت الحرام وتقبيل الحجر الأسود، فصادف دخولهم إليه نزول أسراب الحمام إليهم واقترابها منهم وكأنها جاءت تسلم عليهم، كما التفت بهم وفود الحجيج من مختلف الأصقاع ولاسيما الموافقون[1]، وقد كانت فرصة مواتية للتعارف والتواصل بين مختلف المشايخ والعلماء، ومن بعض ما طرح من المسائل على سبيل المثال: قضية جرِّ اليد على البيت الحرام حين الطواف به، وأول من بدأ النطق بلغة العرب، وقصة وضع التشكيل والنقط على آيات القرآن الكريم، ومسألة الإشارة إلى الحجر الأسود حين الزحام هل تُجزي عن اللمس أم لا؟.. وغيرها من المسائل الفقهية المتعلقة بأداء مناسك الحج.

لقد عرف علماء مكة مكانة القُطب العلمية فتسارعوا إلى الجلوس إليه مباشرة عقب انتهاءه من أداء جميع المناسك، حتى قرّبوه إليهم وقدموه للدرس في حضرة الناس بالمسجد الحرام.

---

1. الموافقون: عبارة يرددها القُطب أطفيَّش ويقصد بها أصحاب المذاهب الإسلامية السنية.

تناقش الشيخ أطفيَّش مع علماء مكة أمثال رحمة الله الهندي وزيني دحلان ومحمد حسبي الله الكثير من القضايا الفقهية، فتبين له الموافقة والتقارب في أغلبها، كما كانت فرصة للاستزادة من معارفهم وتنقيح الكثير من الأفكار وقد تلقى القُطب وتلاميذه مع ذلك إحسانًا كبيرًا من أهل مكة ومن أولئك العلماء الأعلام، وافترقوا بعد ذلك وقلوبهم متعلقة بتلك الأماكن الجليلة وعيونهم تسيل من فراق البيت الحرام.

اتجه ركب الحجاج قاصدًا المدينة المنورة مرورًا بجُعرانة وعُسفان، وفي هذه الأخيرة التقى القُطب ببعض الأشاعرة الذين بادروا بطرح بعض الأسئلة عليه فلم من الشيخ إلاَّ أن يجيبهم بما علم في الموضوع، ومنها إلى صفرى وبها قوم من الصفرية أو أتباع زياد بن الأصفر، ثم منها إلى عيون بدر ثم وادي حُنين فالطائف، وصولاً إلى طيبة أو المدينة المنورة.

نزل الحجاج ومعهم القطب أطفيَّش ضيوفًا على المدينة المنورة وزاروا قبر الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وما كانوا ليخرجوا منها لولا موعد الرحلة، فقد تعلقت أرواحهم بها فصاروا كطامع في وصل ما انفصل، وخرجوا منها ودموعهم تسيل إلى وجهة ينبع أو الينبوع وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر تقابل المدينة المنورة في نفس الخط بينهما مسيرة ليلة.

ركب وفد الحجاج السفينة التي أقلَّتهم من ميناء ينبُع مرورًا بقناة السويس فميناء الإسكندرية نزولاً بميناء تونس الخضراء.

نزل وفد الحجاج من السفينة بأرض تونس وساروا فيها أيامًا، زاروا خلالها الجامع الكبير أو جامع الزيتونة، كما انعطفوا عند بعض المزابيين المقيمين بتونس ومنهم طلاب العلم والتجار الذين فرحوا كثيرًا بلقائهم، ومن بين من

ضفر بضيافة القُطب عنده إبراهيم بن عمر وهو أحد أعيان المزابيين بتونس، وقد أحسن إكرام القُطب وأنزله منازل الخلفاء، وفعل كذلك مع جماعة الطلبة الذين معه، فأحبَّ القُطب لقائه حتى إنه عندما جدد للرحلة صعب عليه كثيرًا فراقه.

بعد مسيرة أيام دخل القُطب أطفيَّش مدينة بُونة وهي المعروفة اليوم بعنابة إحدى عواصم الشرق الجزائري الساحلية، فتلقوا ترحابًا وإكرامًا من الناس في كامل طريقهم، وقد نزل القُطب ضيفًا على المدعو يحي بن صالح وهو حفيد الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني، وأحد أعيان بني مزاب البارزين في مدينة عنابة، وفيها أيضًا الأجودان عيسى بن صالح وعيسى بن الحاج، وهما كذلك من تجار بني يسجن المرموقين بعنابة.

ذكر القُطب بعد ذلك أن الركب سار يريد الخروج من عنابة فتلقاهم عساكر الاحتلال قصد تفتيشهم، ففتشوا الجميع إلا القُطب وزوجه فإنهم لم يقتربوا منهم بتاتًا، وما ذلك إلاّ حفظ من الله ورعاية منه.

بعد مسيرة أيام وصل الوفد مدينة قسنطينة، وهي إحدى عواصم البلاد الشرقية الداخلية، ومنها إلى ڤالمة فباتنة ثم جيب الأمير فبسكرة، وكلها مدن داخلية في الجهة الشرقية من الجزائر، وصولاً إلى شط الجريد حيث البوابير التي تعمل على استخراج الملح وتجفيفه ونقله.

لم يفصل القُطب بعد ذلك في المراحل التي تلي هذه المرحلة غير أنه من الممكن أن يكون قد سلك نفس طريق الذهاب أي دخل الجلفة ثم الأغواط فبريان فمزاب، أو أنه سلك طريق الجنوب أي من بسكرة باتجاه توڤرت وصولاً إلى القراة فبريان فوادي مزاب.

دخل القُطب مدينته بني يسجن مطمئنًا وسط احتفال جماهري حاشد محتفٍ بعودة عالمهم إليهم سالمًا غانمًا، فأثنى القُطب طويلاً على كل من ساهم في إنجاح رحلته التاريخية تلك، ولاسيما يوسف بن عيسى بن صالح صاحب الهودج والبغل الذي نقل زوج الشيخ إلى الحجاز ذهابًا وإيابًا.

فوائد الرحلة:

لقد أولى السلف ـ رحمهم الله ـ لتدوين الرحلات عناية كبيرة، فصنفوا لها ودونوا دقائقها، ومنهم من بذل جهدًا لا يستهان به فنظم رحلته شعرًا حتى تنال مكانها في عقول وقلوب السامعين، وحاول تسجيل تفاصيل الأحداث بكثير من التحري والصدق في عرض الوقائع، وتفقد أوضاع البلاد الإسلامية، تعبيرًا عن تواصل المسلمين مع بعضهم البعض، حتى وإن تباعدت الأمصار وطالت المسافات بينهم، إلاّ أن معظمهم استطاع التواصل مع كل من تعرف عليهم في رحلته، فحدثت بينهم المراسلات الأدبية المتنوعة وتبادل الكتب وغيرها.. وقد سجل لنا التاريخ بعض العلاقات التي أثمرت وخلقت أجواء مفعمة بالنشاط ووطدت العلاقات بين العلماء فلم يكتفوا بالتواصل بينهم فقط بل نقلوا ذلك إلى طلابهم ومورديهم، وفتحوا مجالات جديدة من صيد العلوم بإنشائهم ما يُعرف بـ"البعثات العلمية"، فقامت بعض الأنظمة بإشارة من علمائها بفتح معاهد تقوم برعاية شؤون الطلبة الوافدين إليها للانتهال من معين علمائهم، ومن تلك البلدان التي أقام بها الطلبة الجزائريون على سبيل التمثيل مصر حيث جامع الأزهر، وتونس حيث جامع الزيتونة، والحجاز حيث الحرم المكي والمدني.

لقد مكث القُطب في مكة مجاورًا سنة كاملة، ودرَّس خلال وجوده هناك كتاب: "السنوسية في عقائد المالكية"، ولو أن درس هذا الكتاب وشرحه من طرف القُطب أطفيَّش لم يصل إلينا، ثم دَوَّنَ في تلك الرحلة معظم ملاحظاته ولقاءاته مع الشخصيات والعلماء، وألَّف فيها أيضًا كتابه الشهير في المنطق وهو: "إيضاح المنطق في بلاد المشرق"، وقد زار مصر بعدها وجلس إلى علماء الأزهر فيها وإلى الطلبة المتمدرسين هناك من الإباضية والذين كانوا يقيمون بوكالة الجاموس قرب مسجد ابن طولون، كما اقتنى من رحلته تلك ما استطاع من الكتب، وبعث ببعضها إلى سلطان زنجبار ليطبعها وينشرها، فقد كان الشيخ مهتمًا بنشر العلم في كل البلاد الإسلامية..

إنَّ من أهم ما يمكن التعليق عليه والوقوف عنده من الفوائد العديدة لرحلة القطب هو لقائه بالعلماء الأعلام وتدريسه الناس بالحرم المكي والمدني، والتفاف الطلبة على اختلاف مشاربهم من حوله، وذلك من أجل اقتناص الفوائد العلمية المتنوعة، ولم يكن القُطب في منهجه متعصبًا لفكرة ما أو اتجاه مذهبي معين بل كان متفتحًا على الجميع يسمع كل الآراء ويهتم بشؤون المسلمين في كامل البلاد الإسلامية، وأكثر من ذلك فقد انبرى مهاجمًا الاستعمار فاضحًا لكل سياساته ودسائسه في استعباد الشعوب، ومبصِّرًا في ذلك المسلمين في مختلف الأقطار التي زارها أو راسل علمائها.

ومن فوائد رحلة القطب الجليلة أيضًا إنهاءه لمرحلة تاريخية عصيبة وتصحيحه لمفهوم خاطئ ساد مزاب ردحًا من الزمن، والذي كان يقضي بعدم السماح للمرأة بالسفر خارج مزاب إلاَّ لضرورة قُصوى مُلحة كالعلاج مثلاً، أمَّا ما سوى ذلك فلا، وقد كانت حجتهم في ذلك انعدام الأمن في الطريق،

ولم يكن الداعي إلى التمسك بمثل هذه الأفكار إلاّ تشبُّث الناس بعَرَض الحياة الدنيا ونقص الوازع الديني واستشراء الجهل ومظاهر التخلف.

وكخلاصة يمكن القول إنّ ما أثبته القُطب أطفـيَّش في رحلته من ملاحظات وما أورده من معلومات وما وضعه من تعاليق يتّصف بمميّزات يمكن أن تُحدّد قيمتها التّاريخية والاجتماعية، ومستواه الفني والأدبي.. ولعل من فوائد رحلته ما يأتي:

إن أسلوب القُطب في كتابة رحلته وخاصة في نظمها شعرا يعكس رقيَّ أدبه في عصر تخلّفت فيه علوم العربية بسبب السياسات الاستعمارية وتدني المستوى الثقافي، وهو ما ألزم معظم الرحّالة بتدوين رحلاتهم بكثير من الألفاظ العامّية، في حين التزم القُطب في نظمه بلغة فنية راقية، مع التفنن والإبداع فيها، لذلك فإنه يمكن اعتبار رحلة القُطب أطفيَّش من المصادر الأساسية في التعرف على أوضاع اللغة العربية في تلك الفترة، وكذا التعرف على المسائل الفقهية المطروحة في ذلك العهد وفي مختلف الأمصار.

كما كانت الرحلة فرصة لخلق أجواء من التواصل الإنساني الهادف بين المشرق الإسلامي ومغربه، خاصة لما كانت بيد علماء أعلام، ومن هنا فإنه يمكن اختصار آثار رحلة القُطب في بعث التواصل بين المشرق والمغرب فيما يأتي:

1- التأريخ لتراث الجزائر خصوصًا والعالم الإسلامي عمومًا.

2- التواصل بين العلماء عند التقائهم في الحجاز ومصر وتونس وغيرها.

3- تفقد أوضاع المسلمين في كامل أقطار العالم الإسلامي.

4- عرض العلماء لجديد اجتهاداتهم والتعرف والاعتراف بجهود بعضهم البعض.

5- استعراض أهم وقائع المسلمين في كل فترة تاريخية ومحاولة تصحيح بعضها.

6- التعرف على مختلف الجوانب الحياتية الأدبية والسياسية والاقتصادية.. في مختلف الأمصار.

7- التعريف بمؤلفات العلماء وما اشتهر منها وذاع صيته في كل فترة تاريخية.

8- خلق أجواء من التواصل الإخواني من خلال المراسلات المختلفة وتبادل الكتب وغيرها..

هذه بعض أهم الملاحظات التي وقفت عليها من خلال قراءتي المتأنية لرحلة القُطب الحجازية، ولاشك أن هناك غيرها من الآثار الكثير، قد يتوصل المتأمل لاستخراجها والتعليق عليها بما شاء.

إن رحلة القُطب الحجازية قد ضربت لنا مثالاً آخر في التواصل بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، كما عكست جوانب فاضلة من أخلاق العلماء، ونقلت لنا صورًا حية عن طبائع المسلمين في تلك الحقبة التاريخية المهمة، وإن كان معظمها ما يزال بحاجة إلى المزيد من الدراسة والتحقيق.

القصيدة الحجازية

01	هَجَرنَا مَسَاقِطَ الــرُّؤُوسِ وَمَــا نَــرَى	سِوَى الحَجِّ إِنَّ الحَجَّ[1] قَد حَانَ أَنْ يُرَى
02	وَغَــيرَ اعتِمَــارٍ وَالزِّيَــارَةِ لِلنَّبِــي	عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالــسَّلاَمُ زَهَــا الثَّــرَى
03	فَللَّهِ حَمدٌ حَمــدُ فَــانٍ لِــذِي البَقَــا	وَحَمدُ فَقِــيرٍ لِلغَــنِيِّ عَــنِ الــوَرَى
04	خَرَجنَا بِضَحوَةِ الخَمِــيسِ بِمِثْــلِ مِــا	خَمِيسٍ، وَنَحنُ فِي خَلاَءٍ عَــنِ المِــرَا
05	وَفِينَا فَتِيَ الفِتيَــانِ أَشــجَعُ مَــن أَرَى	وَأَصدَقُهُم حُبًّا وَأَيقظُ مَــن سَــرَى[2]
06	وَأَثقَــبُهُم ذِهنًــا وَأَطــوَلُهُم يَــدًا	وَمَجرَى أَبِيهِ[3] فِــي شَــمَائِلِهِ جَــرَى
07	أَلاَ إِنَّهُ ابنُ السَّيدِ المُنتَخَــى[4] عُمَــر[5]	تَعَبــدَلَ[6] مَــرَّتَينِ لِلخَــيرِ مَــصدَرَا
08	فَيَا لَيتَهُ فِــي صُــحبَتِي كُــلَّ رِحلَــةٍ	إِلى مَكَّــةَ الغَــرَّاءَ فَاتِحَــةِ القُــرَى[7]

---

1 – إيذان من الشاعر بانطلاق موسم الحج، وبالتالي الرحلة لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام.

2 – السَّرى: كالهُدَى: سَيْرُ عامَّةِ اللَّيْلِ. وفي قول القُطب "وأصدقهم حُبًّا.." تأكيد على ماكنة الشيخ عمر بن حمو في قلب شيخه وأستاذه، وتذكر مختلف الروايات أنه كان يناديه بــ"أميني وسرِّي".

3 – هو القائد المغوار الشيح: حمو بن باحمد العطفاوي، آخر من تولى إمامة للدفاع بمزاب لما أراد بشوشة الزحف على وادي مزاب قادمًا من ورجلان بعد تخريبها سنة 1871م.

ينظر بتفصيل: دور المزابيين في تاريخ الجزائر، حمو عيسى النوري، دار البعث قسنطينة، ط1، 1970، ج1، ص295 وما بعدها.

4 – المنتخى: ترخيم من المنتخب وهو المختار، والنُّخبَةُ: ما اختاره، منه. ونُخْبةُ القَوم ونُخَبَتُهم: خِيارُهم. قال الأصمعي: يقال هم نُخَبة القوم، بضم النون وفتح الخاء، قال أبو منصور وغيره: يقال نُخْبَة، بإسكان الخاء، واللغة الجيدة ما اختاره الأصمعي.

5 – ورد شرح على الهامش هذا نصه: [الحاج عمر بن حمو العطفاوي]، قلت هو ابن القائد المغوار الشيح حمو بن باحمد العطفاوي، وقد مر ذكره في التقدم.

6 – تعبدل أصلها من العَبْدَل: العبدُ، ولا يَعْرف سيبويه اللام زائدة إلا في عَبْدَل.

7 – يريد كونها أم القرى كما جاء وصفها بذلك في القرآن الكريم.

09	كَسَائِرِ أَهلِ العَطــفِ[1] جُلُّهُــمُ ذَوُو	سَــخاءٍ وَرِفــقٍ بِالــذِي بَــرًا وَقَــرَا
10	وَفِــيهِم بَقِيَّــةُ الزِّيَــارَةِ وَالــوَرَعِ	وَنُطــقٍ سَــوَاءٍ لاَ قَلِيــلٍ وَلاَ هُــرَا[2]
11	وَتَصحِيحُ صَومٍ وَالصَّلاَةُ مَــعَ الإِمَــامِ	فِي رَاجِحِ الأَوقَاتِ وَالحَجِّ إِن حَــرَى
12	فَتَا اللهِ، إِنَّ الحَجَّ فَرضٌ وَلَو عَلَى النِّــ	ــسَاءِ إِنِ استَطَعنَ حَقًّا بِلا افتِرَا[3]
13	مَعَ الزَّوجِ أَو مَعَ مَحــرَمٍ أَو جَمَاعَــةٍ	ثِقَاتٍ وَأَقوِيَــاءَ فِــي حَــدَثٍ عَــرَا
14	وَحَجُّ امرِئٍ بِالزَّوجِ سَــبعُونَ حَجَّــةً	وَوَاحِدَةً وَالحُكــمُ مِــن أَثَــرٍ طَــرَا
15	فَقَد جَاءَ أَنَّ فِعلَ ذِي الزَّوجِ مُــضَعَّفٌ	بِسَبعِينَ وَالدَّاعِي كَفَاعِلِ مَــا احتَــرَا
16	وَمَن غَــابَ عَــن أَزوَاجِــهِ وَإِمَائِــهِ	زَنَى، كَالذِي عَنهُنَّ أَجمَعُ قَــد بَــرَى
17	فَإِمَّــا بِقَلبِــهِ أَو بِعَينِــهِ أَو يَــدِ	أَوِ الرِّجلِ أَو بِالفَرجِ رَجعًــا إِلَى وَرَا[4]
18	وَإِن شَــاءَ رَبٌّ صَــانَهُ وَأَعَانَــهُ	كَمَا صَانَ جَمعِي إِذ نُفُوسُهُم شَــرَا[5]
19	فَسِرنَا وَحَلَّينَا التُّقَى مُرتَــدِي الهُــدَى	عَلَى الطُّرُقِ الوُسطَى[6] وَفِي قَفوِهَا اقتِرَا

[1] - هي بلدة العطف (تجنينت) أم قرى وادي مزاب، 600كم جنوب العاصمة الجزائر، تبعد عن بني يسجن مسقط رأس القطب أطفيش بحوالي 10كم، أسسها خليفة بن أبغور سنة 1204هـ، ولا تزال عامرة إلى اليوم، وللقُطب فيها تلاميذ نجباء.

[2] - والهُراءُ، ممدود مهموز: المَنْطِقُ الكثيرُ، وقيل: المَنْطِقُ الفاسِدُ الذي لا نِظامَ له.

[3] - في ن (ب): ورد امتراء، وافْتَرَى الكذب يَفْتَرِيه اختلقه. وفي التنزيل: {أم يقولون افْتَراه} أي اختلقه.

[4] - في ن (ب): ورد رجعًا إلى الوَرَا بالتعريف.

[5] - لعله يقصد أن مرافقيه كانوا ممن شروا أنفسهم أو باعوها لله ابتغاء مرضاته تعالى، وذلك بالدفاع عن شيخهم وحمايته من كل مكروه قد يُلحقه به أعدائه وحاسدوه.

[6] - الطرق التي تؤدي إلى العاصمة شمالاً، لأن هناك طرق عدة عند الخروج من مزاب كالشرقية، وغيرها.

20	وَلَمَّا دَخَلنَا بَرَّيَانَ[1] بَدَت لَنَا	طَوَى إلى رَيَّانَ تُعزَى وَتُفتَرَى
21	فَرَيَّانَ هُو اسمٌ لِحَافِرِهَا وَقَد	أُضيفَ إِليهِ السبرُ تُطوَى وَتُبتَرَى
22	وَقُل إن تَشَأ مَعنَاهُ: بَرٌّ قَد ارتَوَى	بِوَصفٍ وِمَوصُوفٍ وَتَركِيبُه اجترَى[2]
23	وَمِن بَعدِهِ الأَغوَاطُ[3]، أَغوَاطُ مَن حَضَر	وَشَرقٍ، وَقَدمًا كَانَ مِن أَهلِهَا القِرَى[4]
24	تُسَمَّى لأَنَّ أَرضَهُ بَعضُهَا سَفَل	وَبعضٌ عَلاَ، وَاللهُ مَا يَشَا بَرَا
25	وَفِيهَا أَتَانِي أَهلُهَا يَسأَلُونَنِي	عَنِ القَصرِ[5] أَمِنَ الكِتَابِ لَهُ امطَرَا
26	فَقُلتُ لَهُم مِن قَولِ طَهَ[6] وَفِعلِهِ	وَقَولِكُم مِنَ النِّسَاءِ بِهِ ازدَرَى
27	فَمَا فِي النِّسَاءِ رَكعَةٌ لِمَخَافَةٍ	لِذِي حَضَرٍ أَو سَفَرٍ نُسكٌ وَكَالشَّرَا[7]
28	وَمَن قَالَ مِنهَا فَالوُقُوفُ عَلَى الصَّلاَ	ةِ، وَالبَدءُ عِندَهُ بِإِن خِفتُمُ[8] انبَرَى
29	أَوِ الخَوفُ كَانَ مِن مُرَاعَاةِ غَالِبٍ	زَمَانَ نُزُولِهَا عَلَى سَيِّدِ الوَرَى[9]
30	وَمِن بَعدِهَا الجَلفَا[1] دَخَلنَا، وَسُمِّيَت	لأَن ذَوِيهَا القِلفُ[2] فِي رِقَّةِ القِرَا

---

1 – في ن(ب): احترى.

2 – بريان: مدينة حاضرة، تبعد عن وادي مزاب بـــ 40كم إلى الشمال.

3 – الأغواط: مدينة حاضرة عامرة، تبعد عن وادي مزاب بـــ 200كم إلى الشمال الشرقي.

4 – القرى: الضيافة والكرم.

5 – القصر: باب في الصلاة.

6 – هو الرسول محمد ρ وهي الإشارة إلى سننه القولية والفعلية التي يجب الأخذ بها.

7 – الشَّرى: كلُّ مَنْ تَرَكَ شيئاً، وتَمَسَّكَ بغيرِه، فقد اشْتَراهُ، ومنه: {اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بالهُدَى}.

8 – إشارة إلى قوله تعالى: "وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جُناحٌ أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكفرين كانوا لكم عدوًّا مُبينا". النساء، 101. أمّا قوله انبرى فهي: اتضح.

9 – إشارة إلى الآية نفسها وفيها سبب نزول آية القصر في الصلاة.

31	وَلَكِنَّهَا الدَّلفاءُ[3] ذَا الوَقتِ إذ سَــكَنَ	ذَوُو العَطف فِيهَا بِالتَّمَلُّــكِ وَالكِــرَا[4]
32	أَبُو أَحمَدَ بنُ صَالِحٍ[5] جَيِّــدُ النَّـــسَب	سَخِيٌّ حَمُولٌ لِــلأَذَى كَيفَمَــا طَــرَا
33	وَجَدَّتُــــهُ رُقَيَّـــةُ بِنـــتُ أَحمَـــدَا[6]	وَعُثمَانُ جَــدُّهُ بِــذَا كُلِّــهِ الــضَّرَا[7]
34	وَأَصحَابُهُ فِي الهُدَى وَالحَــامِلُونَ هُـــم	بَنُو نَايل[8] لَهُم يَاســرًا عَنَّــا غَــرَى[9]
35	هُم أَفضَلُ الأَعــرَابِ أَعــرَابُ قَومِنَــا	بِدِينٍ وَحُسنِهِم عَلَــى غَيرِهِــم زَرَى

---

[1] – من أشهر مدن الهضاب وأكبرها وهي منتصف الطريق بين مزاب والجزائر العاصمة أي 300كم، سكنها بنو مزاب ردحًا من الزمن وعمروها بفعل التجارة، أهلها قبائل أولاد نايل، وفيها من التجار المزابيين بكثرة سكان العطف "تجنينت" أكثر من غيرهم ولا زالوا إلى اليوم.

[2] – القِلف: القِشر، والقِلف من العَيْشِ: الرغدُ الناعِمُ، وسَنَةٌ قَلْفاءُ: مُخْصِبَةٌ وعامٌ أَقْلَفُ مُخصب كذلك، وقد اشتهر سكان الجلفة بالكرم وعُرفوا به، ولازال منهم خلق سخي كثير الكرم.

[3] – والدُّلفُ: التي تَدْلِفُ بحِملها أي تَنهَضُ به، والدَّلْفُ: الشجاعُ. والدَّلْفُ: التقدُّمُ. ودَلَفْنا لهم: تقدَّمنا.

[4] – هذه المعلومة صحيحة حيث تعرف الجلفة إلى اليوم بكثرة سكان العطف "تجنينت" من التُّجار، وهم أصحاب أملاك كثيرة بها، وهم فيها أكثر من غيرهم من التجار المزابيين ولا زالوا كذلك إلى اليوم.

[5] – في الهامش وردت عبارة نصها: [هو جد حمو السماوي]، وقد سبق التعريف به في التقديم.

[6] – يريد انتهاء نسبه إلى رقية بنت الرسول محمد ρ ثم إلى عثمان بن عفان τ.

[7] – وقفت على زمام قديم يحوي "شجرة نسب عشيرة آل الحُجَّاج" بالعطف، وفيه ينتهي نسب هذه العشيرة الكبيرة إلى سيدنا عثمان بن عفان τ كما أورد ذلك الشاعر هنا، قلت لاشك أن الشيخ أحمد بن صالح السماوي هو من أخبره بذلك لأنه من هذه العشيرة. نسخة مصورة من الزمام بحوزة الباحث.
أما الضرا: ضَرِيَ به ضَراً وضَراوَةً: لهِجَ به، واعتاد ذكرَهُ حتى اشتهر وعُرف به.

[8] – من أكبر القبائل وأشهرها على الإطلاق في الهضاب العليا الجزائرية، أصل سكان الجلفة إلى اليوم.

[9] – وغَرَا الشيءَ غَرْواً وغَرَّادُ: طَلاهُ، وفي المثل: أَدْرِكْني ولو بأَحَدِ المَغْرُوَّيْنِ؛ قيل: يعني بالمَغْرُوَّيْنِ السهم والرُّمْح، يُضْرَب مثلاً في السُّرْعةِ والتعجيلِ بالإِغاثة ولو بأَحَدِ السَّهْمَيْن المكسورَين.

36 وَفِيهِم مِنَ الأشرَافِ مِن وَلَدِ الحَسَنِ[1] وَفِيهِم مُحِبُّوا العِلمِ مُجتَنِبُوا الكَرَى

37 وَيَجمَعُ ذَاكَ وَالزِّيَادَةُ فِي السَّخَا أَبُو القَاسِمِ مِنَ الأحرَاشِ[2] السَّاكِنِ الذُّرَا

38 وَمِن كَثرَةِ المَالِ وَالأولاَدِ لُقِّبَا أَبُوهُم بِنَايِلَ فَهُم تُربَةُ البَرَا[3]

39 وَفِيهَا وَفِيمَا بَعدَهَا جَاءَنَا الخَبَر عَنِ الرُّومِ أنَّ الدَّائِرَ الأرضِ بِسَامِرَا[4]

40 فَحَاجَجتُهُم نَقلاً بِتَجرِي لِمُستَقَرٍّ[5] وَعَقلاً بِأنجُمٍ تَلِي القُطبَ فَانفِرَا

41 فَمَا المُستَقَرُّ غَيرَ يَومِ القِيَامَةِ وَمِثلُ إلَى ذَا اللاَّمِ مَعنىً كَمَا تَرَى

42 وَلَستَ تَرَى مِن بَعدِهَا غَيرَ لِحيَةٍ تُقَصُّ وَشَارِبٍ يُطَالُ بِلاَ انبِرَا[6]

43 عَلَى عَكسِ مَا جَاءَ بِهِ الحَدِيثُ[7] بِهِ أمَرَ اللهُ الرَّسُولَ بِلاَ انصِرَا

44 وَذَلكَ كُفرٌ وَالذِي يُوزَنُ الشَّعرُ بِهِ، ذَهَبٌ يُعطَى الفَقِيرَ وَيُقتَرَى[8]

45 وَقِيلَ عَلَى الوَارِثِ كَالإرثِ يَقسِمُهُ وَقِيلَ بِهِ يُوصِي قَلَّ أو ثَرَى

---

1 – هو الحسن بن علي كرّم الله وجهه.

2 – للأسف لم أصل إلى بيان أبو القاسم المذكور إلاّ أنه يبدوا من سُراة عرش أولاد بلحرش بالجلفة.

3 – البرا من البَرِيَّة: الخلق. وبَراهُ الله يَبْرُوه بَرْواً أي خلقه، ويُجْمَعُ على البَرايا من البَرَى وهو التراب.

4 – يبدوا أنه يتحدث عن نظرية قاليلي حول كروية الأرض ودورانها. أما قوله الروم: فيريد بها ما أصله من أوربا، لأن الرومان هم الذين حكموا أوربا ردحًا من الزمن حتى اشتهرت بهم.

5 – إشارة إلى قوله تعالى: "والشمس تجري لمستقر لها، ذلك تقدير العزيز العليم" سورة ياسين، آية 38.

6 – بلا انبرا: بلا اعتراض أو نهي واستنكار عن ذلك.

7 – إشارة إلى قوله الرسول الكريم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ρ قَالَ: "حُزُّوا الشَّوَارِبَ وَاعْفُوا اللِّحَى".
ينظر: مسند أحمد، رقم: 8432، نسخة إلكترونية.

8 – كفّارة حلق اللحية تقدر بوزن الشعر المُقص وإعطاء مقابله ذهبًا.

46	وَقِيلَ بِلاَ أَرشٍ[1] كَذَا كُلُّ مَـا فَعَـل	بِبِنيَتِه الإنسَانُ كَالقَطعِ أَو جَـرَى
47	وَلَمَّا دَخَلنَا فِي المَدِيَّـةِ[2] رَدَّتِ النَّصَـ	ـارَى لِتُركٍ مَسجِدًا مُحكَمَ الجَـرَا[3]
48	وَفِيـهِ أَغَيَـاظُ اليَهُـودِ وَلِـي بِـهِ	مَقَاصِدُ فَالإِشرَاكُ خَابَ عَلَـى اغتِـرَا
49	وَأَصـلُ مَـدٍّ مُدِينَـةٍ بِـضَمٍّ مِيـ	ـمٍ وَكَسرِ اليَـاءِ المُـشَدَّدِ إِذ هَـرَا
50	تَلِيهَـا بُلَيـدَةُ[4] البُلَيـدِ مَحمَّـدِ[5]	تَمَـشَيَخُ لِلـصَّبَّانِ فِي مِـصرَ وَادِ رَى
51	وَفِيهَا سُـئِلتُ عَـن مَقَـالِ إِصَـابَةٍ	أَبَاالجَرَامِ[6] الرَّفعُ فِي قَولِ مَـن ضَـرَى
52	وَسَلِّم لإِحدَى الحُسنَيَينِ إِصَابَةً وَأُخرَى	اجتِهَادٌ قَـد عَـنَ الصَّوبَ فَانصَرَى
53	فَقُلتُ لَهُم بِالرَّفعِ لاَ الخَفضِ لَو خَفَض	تَعَطَّلَ عَنهُ مَـا يَلِيـهِ وَمَـا اقتَـرَى
54	وَقِيلَ لَنَـا لَـدَى جَزَائِـرِ مَزغَنَّـةَ[7]	تُمدُّ فَشَت أَصلَهَا وَمِنهَا ابتَنَـى البَـرَا
55	أَصَـومٌ وَفَطـرٌ وَالـصَّلاَةُ بِـسَاعَةٍ	وَسَلكٌ وَتَنجِيمٌ تَحَلَّـلَ أَم حَـرَى؟!
56	فَقُلتُ حَـرَامٌ لَـيسَ يُـومِنُ مُـشرِكٌ	عَلَى دِينِ رَبِّـي فِي خَفَـاءٍ أَوِ القَـرَا

---

[1] - الأَرْش من الجراحات: ما ليس له قدر معلوم، وقيل: هو دِيَةُ الجراحات، وسُمِّي أَرْشاً لأنه من أسباب النزاع. يقال: أَرَّشْت بين القوم إذا أوقعت بينهم.

[2] - المدية: المدينة الحاضرة إلى اليوم، تبعد عن الجزائر العاصمة بـ 80كم.

[3] - للأسف لم يفصّل الشاعر في سبب الاستيلاء على ذلك المسجد ولا كيفية إرجاعه لأصحابه، ولعل ذلك حدث في مدينة المدية أو بالقرب منها.

[4] - إحدى أشهر مدن الشمال الجزائري تبعد عن العاصمة بحوالي 50كم.

[5] - في ن(ب): معمد.

[6] - في ن(ب): أباالحرام، لعل الصواب مع الأولى، ومعناه: أباالقطع.

[7] - جزائر بني مزغنة: هو الاسم القديم لعاصمة الجزائر اليوم.

57 وَبَعدَ مِئَـــاتٍ أَربَـــعٌ مَـــعَ أَربَعِيـــ ـــنَ[1]، جَاءَ كَفُورٌ مَع عَسَاكِرِ قَد مر

58 لِمَالطَـــةَ[2] الإِســـلاَمِ حِينَئِـــذٍ بِهَـــا فَقَالَ ذَوُو الإِسلاَمِ قَـــولاً لَـــهُ الغَـــرَا

59 وَقَد طَلَبُوا الأَموَالَ مِنهُم مَـــعَ النِّـــسَا وَمَـــا افتَرَحُـــوهُ مِنـــهُم أَيَّمَـــا افتِـــرَا

60 لِعُبَـــدَاهِم إِذَا فَـــشِلتُم أَحِـــذتُم وَإِلاَّ فَـــأَحرَارًا وَعَزلِـــهِ الطَّـــرَا

61 وَأَموَالُنَـــا لَكُـــم جَمِيعًـــا فَقَـــاتِلُو بِسَادَتِهِم فَلَـــيسَ فِي نَـــصرِهِم ضَـــرَا

62 سَفِينَتُنَا المُكرَاةُ مِـــن مَـــسَاكِنِ جَيَـــلٍ إِلى طَارِقٍ[3] يُعزَى يُضَافُ لِمَـــن دَرَى

63 وَأَخطَأَ حَقًّا مُسقِطُوا قَـــافَ طَـــارِقٍ أُضِيفَ لِفَتحِـــهِ إِلَيـــهِ عَلَـــى الجَـــرَا

64 وَمُدخَلِ أَلـــ فِي اللَّمعِ بِاللاَّمِ لَمَ يَقِـــس وَتَرخِيمُ مَا بِأَلـــ حَمَى مَا بِهِ اعتَـــرَى[4]

65 فَبِاهتِيَاجِ البَحرِ حِـــينَ دَنَـــوتُ مِـــن مَدِينَةِ ذِي القَرنَينِ[5] فِي سِمتِ ذِي انحَرَا

66 فَـــذَلَّ بِتَكـــبِيرٍ عَلَيـــهِ فَإِنَّـــهُ[6] يَهُونُ بِهِ كَالـــصَّيدِ فِي نِـــسبَةِ الفِـــرَا

67 وَفِيهَا أُرِيتُ النِّفطَ يَغسِلُ مَـــا نَجَـــس وَيَرفَـــعُ أَحـــدَاثًا كَفَـــسوٍ وَأَكثَـــرَا

---

[1] – 144 سنة لعلها كانت مدة حكم المسلمين لجزيرة مالطة قبل احتلالها وإخراجهم منها.

[2] – مالطة: جزيرة شهيرة في البحر الأبيض المتوسط بين صقلية وليبيا، افتتحها المسلمون من القيروان في 870م ثم استولى عليها الصليبيون في 1090م، واحتلها بونابرت في 1798م ثم الإنجليز 1800م، استقلت في 1964م. ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق بيروت، ط28، 1986، قسم الأعلام، ص 629.

[3] – جبل طارق: شبه جزيرة صخرية في طرف إسبانيا الجنوبي، سماها العرب جبل طارق بعد أن احتاز طارق بن زياد المضيق عند فتح الأندلس . ينظر: نفسه، ص 209.

[4] – لعلك تلاحظ تمكن الشيخ من قواعد النحو والصرف، كيف لا وقد نظم كتاب "مغني اللبيب" في 5000 بيت وهو ابن 16 ربيعًا، وهو صاحب كتابي "ربيع البديع" و"بيان البيان" في علمي البديع والبيان.

[5] – مدينة ذي القرنين: أو مدينة الإسكندرية بمصر، هي المشهورة بمينائها المطلّ على البحر المتوسط.

[6] – في ن(ب): نانه.

68	فَقُلتُ نَعَـم إن لَم يُـلاَقِ الُمنجـسَا	وَلَمْ يَكُن مَصنُوعًا بِمَا امتُنِـعَ احتَـرَا
69	سَوَاءٌ أكَانَ الزَّيتُ مِن مَـاءِ أُصـطُفِي	أَمِ الـبِيرِ وَهِـيَ فِي صَـقلَتِه انخَـرَا
70	قُـرًى فِي جَزِيـرَةٍ تُقَابِـلُ تُـونُس[1]	مِنَ العُدوَةِ الأُخرَى كَبِرٌ رَبُّهَـا انقَـرَا
71	وَفِي مِصرَ هَل يَحِلُّ مَـا قَـد تَخَلَّـلاَ	مِنَ الخَمرِ؟ قُلـتُ: لاَ رَوَاهُ القَبَعتَـرَا
72	بِإِسـنَادِهِ إِلى أَبِـي الرِّضَـى	وَعَن وَلَدِ العَبَّاسِ[2] أَيضًا لَـهُ اسـتَرَا
73	حَدِيثَانِ مَرفُوعَانِ صَحًّا، وَهَـل يَـسُو	غُ تَصوِيرٌ لِنَحـوِ لَيلَـي وَمَنـهَرَى؟
74	فَقُلتُ حَـرَامٌ أَن يُـصَوِّرَ مَـا حَيِـي	أَوِ الرَّاسِ مِنهُ مِثلُ كَلبٍ وَخَيـزَرَى[3]
75	وَقَد رَخَّصَ الحَدِيثُ فِي رَقـمِ صُـورَةٍ	وَيُشبِهُ الإِلـصَاقَ وَالـصَّبغَ بِـالرَّزَى
76	وَبَحرُ السُّوِيسِ[4] مِن جِبَالٍ تَقَطَّعَـت	مِنَ البَحرِ فَوقَهُ عَلَى سِمتِ منخَـرَى[5]
77	كَمَا أَنَّ بَحرَ الرُّومِ الأَبـيَضِ[6] قَطعًـا	لَهُ جَبَـلٌ فِي التُّـركِ حِيـزَ فَلـوَرَى

---

1 - جزيرة تقابل تونس: هناك جزيرتا صقلية وسردينية اللتان تقابلان تونس الأولى من الشرق والثانية تقابلها من جهة الشمال إلى الغرب. ينظر: السابق، ملحق الخرائط، ص39.

2 - ابن عباس: هو حبر الأمة عبد الله بن عباس τما.

3 - الحديث: حَدَّثَنَا ابْنُ مُقَاتِلٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا طَلْحَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ρ يَقُولُ لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةُ تَمَاثِيلَ" صحيح البخاري، رقم الحديث 2986، نسخة إلكترونية.

4 - قناة السويس: قناة تصل البحر الأحمر بالمتوسط، بين بورسعيد ومدينة السويس، حفرها المهندس الفرنسي: دي لسيبيس 1859 – 1869 بأمر الخديوي سعيد باشا، طولها 168كم وعرضها 150م، تجتاز عدة بحيرات طبيعية أهمها: بحيرة التمساح. ينظر: معجم الأعلام، ص 384.

5 - في ن(ب): فانخرى.

6 - بحر الروم الأبيض: هو البحر الأبيض المتوسط.

78 وَمَا القُلْزُمُ[1] المُضَافُ بَحرٌ إِلَيهِ قُلْــت: بَلعٌ كَبَلعِ بِضعَةِ اللَّحـمِ بـازدِرَا

79 فَإِغرَاقُـهُ فِرعَـونَ وَالقَـومَ بَلعُـهُ وَقِيلَ هُو اسمُ قَريَـةٍ هِـيَ عَزبَـرَى

80 جَدَّدنَا فَأَرسَينَا بِجُدَّة[2] فَانتَهَى البَـحَّـارُ فَكُنَّـا مِثـلَ نَاقَـةِ مَـرَى

81 وَذَا الجِيمُ مَضمُومٌ فَمَـا صَـحَّ أَنَّهَـا لَدَيهِم حَوَت حَوَّاءَ فَالفَتحُ فِي العـرَا

82 وَذَلِـكَ أَنَّهَـا طَرِيـقٌ وَسِـيمَةٌ لِمَكَّةَ أَو خَـطٌّ عَلَـى لَـونِ افتَـرَى

83 وَحِـدهُ أَو حَـدَاهُ بِالحَـاءِ مُهمَـلاً فَبَاتَ عَلَى نِصفٍ وَفِيهَا فَشَا التَّحبَـرَا

84 وَحَيثُ أَضَاءَ البَيتُ أَو أَسـوَدُ الحَجَـر حَرَامٌ وَمَا سِـوَاهُ حَـلٌّ بِـهِ حَـرَى

85 فَحِينَ نُزُولِ البَيتِ أَو وَضعِ ذَا الحَجَـر بِرُكنٍ أَضَاءَ فَالشَّيَاطِينُ فِـي الحـرَا

86 وَحَيثُ يَكفُـونَ المَوَاقِيـتِ فَـاختُلِف لِـذَلِكُمُ المِيقَـاتِ بُعـدًا أَو اقتِـرَا

87 دَنَونَا فَـدَانَانَا الحَمَـامُ كَمَـن أَتَـى يُـسَلِّمُ وَهُـو آمِـنٌ إِثـرَ[3] استَرَا

88 وَقَد أَكثَـرَ الـسُّؤَالَ فِي مَكَّـةَ المُـوَا فِقُونَ وَأَصحَابُ المَـذَاهِبِ وَاحتَـرَا[4]

---

[1] – بحر القُلزم: هي التسمية القديمة للبحر الأحمر، يقال لغة: تَقَلْزَمَه إذا ابتلعه والْتَهَمَه، وبحر القُلْزُم مشتق منه، وبه سمي القلزم لالتهامه من ركبه؛ والقلزم: بلدة على ساحل بحر اليمن قرب أيلة والطور ومدْين وإلى هذه المدينة ينسب هذا للبحر وموضعها أقربُ موضع إلى البحر الغربي لأن بينها وبين الفَرَما أربعة أيام، والقلزم على بحر الهند، والفرَما على بحر الروم، ولما ذكر القُضاعي كُوَرَ مصر قال: راية والقلزم من كورها القبلية وفيه غرق فرعون. معجم البلدان، لياقوت الحموي، نسخة إلكترونية.

[2] – جُدَّة بضم أوّلها: ساحلُ مكة، معروفة، سُمِّيت بذلك لأنها حاضرة البحر؛ والجُدَّة من البحْرِ والنهر. ما وَلِيَ البَرَّ: وأصل الجُدَّة: الطريق الممتدة. معجم ما استعجم، نسخة إلكترونية.

[3] – في ن(ب): أبرَّ.

[4] – إن كثرة السائلين عن الدين من حول القُطب لدليل واضح على مكانته العلمية كما مرَّ في التقدم.

89	فَعَن جَرٍّ بَعضِ الطَّـائِفِينَ يَـدًا عَلَـى	جِدَارِ الحَطِيمِ قُلتُ: جُورٌ بِحَـرفِ رَا
90	لأَنَ الطَّـوَافَ عِنـدَ ذَاكَ بِبَعـضِهِ	عَلَى بَعضِ بَيتِ اللهِ فَالفَرضُ قَد جَرَى
91	سِوَى مَا نَـشَاءُ وَقَـولِ أَربَـعِ أَذرُعٍ	وَسَـبعُ ثَـلاَثٍ أَو سِـوَاهُ فَبِـالمِرَا
92	وَنَاوِي المَقَامَ[1] قِبلَـةً لاَ صَـلاَةَ لَـهُ	وَلاَ لَبسُ ثَوبٍ وَاصِفٍ مِثلَ مَن سَـرَى
93	كَسِروَالِ أَهـلِ الكُفـرَانِ لَمَ يُغَطِّـهِ	بِثَوبٍ وَلَبسُهُ خُـرُوجٌ عَـنِ الـسِّرَى
94	فَلَيسَ مِنَ الزِّينَاتِ إِذ كَـانَ وَاصِـفًا	لِعَورَةِ مَن صَلَّى بِذَا الذِّكرِ قَـد صَـرَا
95	وَفِيهِ مُحَاكَـاةُ النَّـصَارَى وَعُـسرَةٌ	أَرَابَ الـصَّلاَةَ فَهُـوَ مُجتَنِـبٌ دَرَى
96	وَمِن بَادِئٍ بِالنُّطقِ فِي لُغَـةِ العَـرَب؟	فَكَـانَ الجَـوَابُ: إِنَّـهُ آدَمُ البَـرَا
97	لِقَـولِ إِلَهِنَـا: وَعَلَّـمَ آدَمَـا[2]	وَمُنشِئُ عِلمِ النَّحـوِ بِـالحَقِّ وَانبَـرَا
98	أَبُو الأَسوَدِ الدُّولِي[3] مَعَ شَيخِهِ عَلِـي	فَمَا أَحسَنُ الـسَّمَاءِ بِـالرَّفعِ وَانجَـرَا
99	سُؤَالٌ عَنِ الجُزءِ الـذِي هُـوَ أَفـضَلُ	هُو النَّجمُ يَثقُبُ الـدُّجَى وَلَـهُ دَرَى
100	وَبِالفَتحِ قَبلَ رَفـعِ تَالِيـهِ نَفـيُ بَـرٌ	وَقِيلَ انتِصَابٌ مِـن تَعَجُّـبٍ اعتَـرَى
101	وَقَـد قِيـلَ إِنَّ قَارِئًـا: وَرَسُـولِه	بِجَرٍّ لَدَى الفَارُوقِ فِي سُـورَةِ البَـرَا
102	هُو السَّبَبُ الذِي بِهِ النَّحوُ قَد وُضِـع	أَبُو الأَسوَدُ الدُّؤَلِي وَالحَقُّ مَـا انفَـرَا

[1] - المقام: مقام إبراهيم ،♦ يريد أن من أراده قبلة لصلاته فلا صلاة له لأن الأصل استقبال الكعبة.

[2] - الآية: "وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين" البقرة، آية 31.

[3] - أبو الأسود الدؤلي: (605-688م)، شاعر من قبيلة ديل، من أنصار علي بن أبي طالب، وقد حضر معركة صفين، وقصته في وضع أصول النحو العربي مشهورة. المنجد في الأعلام، ص14.

103	وَمن أوَّلِ المِقَيَاتِ أو وَسَطٍ أوِ الأ	خيرِ لَكَ الإحرَامِ مِثلَ الخَروزَرى
104	تُشيرُ لَدَى الزِّحَامِ لِلأَسوَدِ الحَجَر	لِلأعلى مِنَ الأدنَى كَمَا مَسحُهُ أرَى
105	وَيسقُطُ فَرضُ الحَجِّ قِيلَ بِمَغرَمٍ	بِتسليمِهِ عَونَ الذِي دَعَا أو هَرَا
106	وَعِندِي وُجُوبُ الحَجِّ مَع ذَاكَ إن قَدَر	عَليهِ بِمَالٍ كَالمئُونَةِ مَا عَرَا
107	كَسَائِرِ مَا يُعطِي حَلاَلاً وَيَحرُمُ	عَلَى آخِذٍ وَكَانَ جَهرًا أو ايتَرَا
108	وَمَن شَأنُهُ أن يَترُكَ الفَرضَ أو هَدَى	لِفُحشٍ سِوَاهُ فَهُوَ عَن دِينِهِ هَرَا
109	إلاَّ اثنَينِ فِي بَيتَينِ أن يَركَبَ البَعِي	ر قُلتُ: نَعم إنَّ طَاقَةَ رَبِّنَا بَرَا
110	وَذَلِكَ لِلنِّسوَانِ وَالضُّعَفَاءِ وَال	مَرِيضِ وَغَيرِهِم بِلاَ فَخرٍ انبَرَا
111	وَلَو شَهَرَ الحَجَّاجُ[1] شَانَ المَحَامِلَ	بِأيَّامِ حَجٌّ فِي الحِجَازِ وَفِي بَرَا
112	بِدُونِ مَنَامٍ فَوقَهُ غَيرَ غَفرَةٍ	تُعَارِضُهُ وَأنَّهُ قَاعِدٌ عَرَا
113	وَأنَّ ثَقِيفًا هُم قَبِيلَتُهُ وَنَصرُهُ	لِبَنِي مَروَانَ فِي عُمرِهِ أرَى[2]
114	كَذَلِكَ لاَ يَنَامُ مُنتَاطُ رَاحِلَةٍ	لِقَولِ رَسُولِ اللهِ أفضَلُ مَن دَرَى[3]
115	ألاَ بَرِئتُ مِن نَائِمٍ فَوقَ سَطحِهِ	بِدُونِ حِجَارٍ أو حِظَارٍ بِهِ احتَرَى[4]
116	مِنَ اللهِ دِمَّةٌ[5] وَمِنِّي وَلاَ تَكُن	كَرَاسِي مِن ظُهُورِ ذِي الذي وَالجَرَا

---

[1] – الحجّاج بن يوسف الثقفي (40-95هـ/660-714م) قائد وخطيب وسفّاك. الزركلي:2 / 162.

[2] – أما قوله: "ونصره لبني مروان"، فهو يريد: توليه قيادة عسكر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

[3] – في ن(ب): أرى.

[4] – الحديث: للأسف لم أجده.

[5] – في ن(ب): ذمة.

117	وَيَحـــرُمُ مَـــا لَـــيس الـــبَعيرُ يُطِيقُـــهُ	وَلَو طَابَ نَفسُ مَالِـــكٍ وَلَـــهُ الثَّـــرى
118	وَيُكـــرَهُ أَن يُعَـــادِلَ امـــرَأَةٌ جُنُـــب	يَعُمُّهُمَـــا سِـــتْرٌ لَـــذَا مَالِـــكٍ[1] وَرَى
119	وَجَازَ بِـــلاَ سِـــترٍ وَأَصـــحَابُنَا أَبَـــوا	عَـــدَالاً بِمَحمَـــلٍ لِـــضَربِهِ ضَـــرَى
120	وَقَد قِيلَ: حَجَّ بَعدَهُ عَبـــدُ مُطَّلِـــبٍ[2]	عَلَـــى مَحمَـــلٍ فِي جَاهلِيَّـــةِ ذِي دَرَى
121	وَهَل يَتَنَاهَى مَا تَحَـــصَّلَ؟ قُلـــتُ إِي	وَرَبِّـــي وَإِلاَّ كَـــانَ ذَا قَـــدَمٍ تُـــرَى
122	وَلَمْ يَـــكُ مَخلُوقًـــا تَعَـــالَى الإِلَـــهُ أَن	يَكُونَ لَهُ الـــشَّرِيكُ فِي القِـــدَمِ انـــسَرَا
123	وَهَل يُحصَرُ المَعلُومُ؟ قُلتُ: نَعَم سِـــوَى	الذِي عَلِمَ المَولَى فَمَا حَـــصرُهُ ضَـــرَى
124	لأَنَّ ذَوِي الجَنَّـــاتِ وَالنَّـــارَ والـــذِي	يُجَازُونَـــهُ مَـــا فِي دَوَامِهِـــم أَدرَى
125	وَأَنفُـــسِهِم وَلَحظِهِـــم وَسُـــكُونِهِم	وَأَضدَادِهَا وَكُـــلّ بَـــادٍ وَذِي الـــضَّرَا
126	وَلَكِنَّ عِلـــمَ اللهِ فِي المَـــذهَبِ اتَّحَـــد	كَمَا صَـــحَّ ذَا لِلأَشـــعَرِيَّةِ[3] بِالـــشَّرَى
127	وَحَقَّـــقَ بَعـــضٌ أَنَّـــهُ مُتَعَـــدِّدٌ	عَلَى حَسَبِ مَعلُومٍ وَفِي القَولِ مَن دَرَى
128	كَلاً حَالِفٌ وَعَـــاطِفٌ عِنـــدَ مَالِـــكٍ	كُفُورٌ وَحُكمُنَـــا[4] الكَرَاهَـــةُ بِـــالطَّرَا
129	عَلَى قَسَمٍ وَالشِّركُ بِـــالعَطفِ فِي مِثَـــا	لِ إِنَّ أَبَا الوَلِيدِ مَـــعَ مُـــشرِكِي هَـــرَا
130	وَهَامَـــانُ أَيـــضًا وَالنَّبِيـــئِينَ أَجمَعَـــا	لَفِي سَـــقَرِ الـــسُّعَارِ لَوَّاحَـــةِ الفِـــرَا

---

[1] - مالك: هو إمام دار الهجرة (93-179هـ)، صاحب "الموطأ" في الحديث. ينظر: الزركلي 257/5.

[2] - عبد المطلب: من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء الأباة. ينظر. نفسه 166/4.

[3] - الأشاعرة: نسبة إلى أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (260-324هـ)، من الأئمة المتكلمين المجتهدين، قيل أنه ترك أزيد من 300 كتاب، ينظر: نفسه 363/4.

[4] - وَحُكمُنا: يريد عندهم معشر الإباضية.

131 فَمُجتَنِبٌ ذَاكَ الكَلاَمَ عَلَى القَسَم ... كَمَا هُو عِندَ العَطفِ يَحرُمُ احتِرَا

132 وَأَيضًا نَهيَنَا عَن أَغَالِيطِ مُعنِتٍ ... وَمَعَ ذَاكَ قَد فَسَّرَهَا أَطرَافًا كِرَا

133 وَمِن جَانِبِ الهِندِيِّ[1] رَحمَةُ لِلإِضـ ... ـطِرَارِي خَارِجٌ بِهَا يَعتَرِي اعتِرَا

134 فَقُلتُ نَعَم وَبَعدَ ذَاكَ أَجُوبُهُ ... لِأَسئِلَةٍ يَأتِي بِهَا الرَّكبُ وَالغَرَا

135 عَلَى عَهدِي حَسبِيَ اللهُ قَالَ مُنصِفًا ... وَدَحلاَنُ[2] وَالهِندِيُّ فِي عَلمَا حَرَا

136 إِلاَّ إِنَّنَا وَالقَومُ فِي مُتَقَارِبٍ ... مِنَ الأَمرِ لاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلا اعتِرَا

137 فَلاَ تَتَعَرَّضُوا عَلَيهِم بِغَيرِ إِنَّهُم ... خَارِجُونَ عَن عَلِيٍّ مَعَ انتِرَا

138 عَنَانًا بِلَفظِ القَومِ مَعشَرِ مَن دُعُوا ... إِبَاضِيَةٌ بِكَسرِهِم لَهُ استِرَا

139 وَقَد أَكرَمُونَا وَالتَّلاَمِيذُ كُلُّهُم ... بِحُسنِ الثَّنَاءِ دَوحَلَةٌ وَمَنِ افتَرَا

140 وَلَمَّا اعتَرَفنَا وَامتَنَينَا[3] وَوَادَعُوا ... مَعِي البَيتَ بَيتَ رَبِّنَا افتَرَقُوا افتِرَا

141 وَأَبكَى فِرَاقُ البَيتِ عَينِي وَأَحرَقَا ... بِهِ القَلبَ إِذ وَادَعتُهُ أَيَّمَا احتِرَا

142 فَبَعدَ مُيُولِ السَّيرِ جُعرَانَةَ الَّتِي ... بِقَدَمَي عُمرَةٍ لَهُم اعتِرَا

143 بِجُعرَانَةَ فِي الأَصلِ تَلقِيبُ[4] رِيطَةَ الَّتِي ... نَقَضَت مَغزُولَهَا بَعدَمَا ابتِرَا

144 وَقَد جَازَ كَسرُ العَينِ مَعَ شَدِّ رَائِهِ ... وَلِلشَّافِعِيِّ فِيهِمَا قِيلَ مَدُّ رَا

---

1 - الهندي: هو رحمة الله الهندي، سبق التعريف به في التقديم.

2 - دحلان: محمد زيني دحلان، سبق التعريف به هو الآخر في التقديم.

3 - يريد: وقفنا بعرفات ودخلنا مِنًى، وهما مشعران من مناسك الحج شهيران.

4 - في ن(ب): تلقّيتُ.

145 وَلَمَّا وَصَلْنَا مَاءَ عُسفَانَ[1] قَالَ لِي ... أَشَاعِرَةٌ مِمَّن أَتَى العِلمَ وافتَرَى:

146 أَتَطْلُقُ زَوجُ حَالِفٍ بِطَلَاقِهَا ... عَلَى مَالِ شِركٍ أَو مَقَامٍ عَلَى اشتِرَى

147 وَلَيسَ لَهُ عَن صَحبِهِ وَطَعَامِهِم ... وَشِركَتِهِم فِيهِ انفِكَاكٌ وَلَا بَرَا

148 عَسَى أَن يَكُونَ مَخرَجٌ فِي بَقَائِهَا ... عَلَى عِصمَةٍ وَاخلَولَقَ الأَمُّ أَو حَرَى؟

149 فَقُلتُ: مُرُوهُ أَن يُقَاسِمَ صَحبَهُ ... فَيَشتَرِكُوا فَمَا عَلَيهِ إِذًا مِرَا

150 وَتُجعَلُ فِي المَاءِ السَّخِينِ خَرِيطَةٌ ... بِهَا نَحوَ سُكرٍ لِمُولٍ[2] عَلَى فِرَا

151 بِلَا مُفتِحٍ وَمُخرِقٍ وَبِلَا خَرقٍ ... وَلَا مُفتِقٍ فَأَحضَرَ عَيشَهَا احضِرَا

152 وَكَانَ الجَوابُ فِي الخُلَيصَا[3] خَالِصًا ... بِحَتمِ مَسدِ الأَنفِ وَالفَمِ وَاندِرَا

153 لَدَى شَارِبِ الدُّخَانِ[4] إِن حَاجَةٌ دَعَت ... إِلَى المَكثِ حَالَ الشُّربِ مَعَهُ أَو اضطُرَا

154 وَلَاحَت لَنَا الصَّفرَا[5] وَصُفرِيَةٌ[6] بِهَا ... وُجُوهُهُم بِالطَّاعَةِ اصفَرَّت اصفِرَا

155 فَالإِثمُ أَو ذُو الفِسقِ أَشرَكَ عِندَهُم ... لِآيَةِ أَنعَامٍ[1] وَقَد لَمَحُوا اسيرَا

---

[1] - عُسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، على مرحلتين من مكة على طريق المدينة.
ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1996، ج3، ص227.

[2] - في ن(ب): طول.

[3] - في ن(ب): الخليط.

[4] - للقطب اطفيش رسالة في شرب الدخان: اسمها "حكم الدخان والسَّعوط" مط.

[5] - صفرى: وادي الصفرى من ناحية المدينة، كثير النخل، في طريق الحاجِّ، بينه وبدر مرحلة.

[6] - الصفرية: أتباع زياد بن الأصفر، سموا بذلك لأنهم كانوا في عُرف معارضيهم صِفرًا من الدِّين، وقيل هم قوم أنهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم، وللقطب رسالة فيها اسمها: "الرد على الصفرية" مط -
- ينظر: موسوعة الأديان والمذاهب، عبد الرزاق محمد أسود، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط2، 2000، مج2، ص223.

156 فَالإشرَاكُ بِالإحلاَلِ لِلأكـلِ أو نَمُـوا ... إلى لَفظَةِ الـصَّفَا رُشـدًا بِـلاَ إطـرَا

157 أو انتَـسَبُوا إلى زِيـادِ بـنِ أصـفَرَا ... أوِ الصّفرِ مِن دِينِ الهُدَى قَارَبُوا حَـرَى

158 تُبَادِرُ[2] مِن شُـهُودِ بَـدرٍ[3] عُيُونُنَـا ... دُمُوعًا وَشَانَهَا حُـنَينُ[4] فَمَـا تَـرَى

159 فَكَيـفَ هُنَـاكَ مَـا بَـينَ طَـائِفٍ ... وَمَكَّـةَ فَـاعتَرُوا بِـذَلِكُمُ اعتِـرَا

160 وَقَد قِيـلَ إنَّ عِنـدَهُ جِـيلاً صَـغَى ... يُـسَمَّى حُنَينًـا وَالكَـثِيرُ لَـهُ وَرَا

161 وَسُمِّيَ بَـدرًا إذ صَـفَاءُ مَـاءُ بِئـرِهِ ... وَفِيهَا يُرَى البَدرُ الصَّغِيرُ لِـذِي اسـتَرَا

162 وَقِيلَ هُوَ اسـمُ حَـافِرِ البِئـرِ هَـذِهِ ... وَقِيـلَ لِقَرِيَـةِ هُنَـاكَ تُقتَـرَى

163 وَاحجُوا كَصَوتِ الطَّبلِ صَوتًا سَـمِعتُهُ ... مِنَ الجَوِّ أو مِن أرضِـهِ دُونَ مُمتَـرَى

164 كَمَـا كَـانَ مَعنَـاهُ أهُنَـاكَ وَإنَّـهُ ... لِنُصرَةِ دِينِ الحَقِّ عَن نَحوِ ذِي الـشَّرَا

165 وَأجفَـلَ[5] رَكبِـي بِـلاَدًا كَـثِيرَةً ... سِرَاعًا إلى نَحـوِ الحَبِيـبِ بِنَيـدَرَى

166 فَبَينَـا نَـسِيرُ إذ بَـدَا لـضمٌ[6] لَنَـا ... فَكَاظِمَـةٍ[7] يَجـرُّهُ[1] مَيـدَ الفِـرَا

---

[1] – آية سورة الأنعام: لا أدري أي آية يقصد، ولكن الأرجح أنها حول موضوع المشرك والفاسق.

[2] – تُبادر: تهطل غزيرة دموعنا.

[3] – بدر: يريد شهداء بدر حيث لا تزال قبورهم إلى اليوم، وهي تزار للدعاء والذكرى.

[4] – حنين: هو اليوم الذي ذكره جلّ وعز في كتابه الكريم: وهو قريب من مكة، وادٍ قبل الطائف، وقال الواقدي: بينه وبين مكة ثلاث ليالٍ، وقيل: بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً، وهو يذكر ويؤنث، فإن قصدتَ به البلد ذكّرْته وصرفته كقوله عزَّ وجل: "ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم". معجم البلدان.

[5] – أجفل: سار مسرعًا، وهو ضرب من سير الإبل.

[6] – في ن(ب): الضم.

[7] – كاظمة: جَوٌّ على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان، وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب واستسقاؤها ظاهر. وقد أكثر الشعراء من ذكرها. معجم البلدان: 114/4.

167	فَطَابَ مُقَامُ طَيبَةَ[2] عِندَ مَـــن أرسَـــى	شِغَافِي وَنَاظِرِي وَمَا عَـــنَّ لِـــي وَرَى
168	فَـــصَلَّى عَلَيـــهِ دُونَ حَـــصرٍ وَسَـــلَّمَا	إِلَـــهٌ بِـــهِ النَّعمَـــا وَجَلـــوُ العَبَيتَـــرَى
169	وَحَمزَةُ وَالعَبَّاسُ وَالعُمَـــرَينِ[3] وَالقَـــ	رَابَة وَالأَولاَد وَالـــزَّوج فِـــي الثَّـــرَى
170	وَفِيهَا سُـــؤَالُ مَغرِبِـــيٌّ أَجَـــازَ لِـــي	مِنَ الحَرَمَينِ نَقـــلُ حَـــصبَاءَ أَو تُـــرَا
171	وَفَخَّارُهُ؟ فَقُلـــتُ: الأَكثَـــرُ يُكرِهُـــهُ	وَحَرَّمَـــهُ يَحـــيَ[4] نَـــوى وَلَـــهُ أَرَى
172	وَلاَ بَأسَ فِي عَكسٍ وَبَعضٌ لَهُ احتَـــوَى	وَجَازَ اضطِرَارًا كَالسَّـــنَا[5] وَالعَبَـــوتَرَا
173	إِذَا قَطعًا لِلطِّـــبِ فِي قَـــولِ بَعـــضِهِم	كَمَا جَازَ قَطعًا نَقلُ تُـــربِ الـــصَّبَيطَرَا
174	إِلَى أَكلٍ لِلصَّرَّاعِ[6] وَلِقَـــصدِ حَمـــزَةٌ	عَلَى مَخرَجِ المَمنُـــوعِ رَدٌّ بِـــلاَ غِـــرَا
175	وَمَا جَازَ عِندَهُ أَن يَخرُجَ مِـــن حَـــرَمٍ	إِلى حَـــرَمِ الفَـــصلِ بِالحِـــلِّ كَـــالثَّرَا
176	وَطِيبَةَ قَد ـــوَاللهِـــ طَابَـــت لِـــسَاكِنٍ	وَطَابَ لَهَـــا فِي يُـــسرِهِ وَبَـــضِيطَرَا[7]
177	فَإِن أَكُن فِيهَا تِسعَةً خَلَـــت وَاحِـــدًا	لِحَبِيـــبِهِم إِذ لَـــيسَ فِـــيهِم ضَـــبَغطَرَا

[1] – في ن(ب): بجرِّه.

[2] – طيبة: هي المدينة المنورة.

[3] – حمزة والعباس والعُمَرَين: حمزة والعباس هما عمَّا الرسول ρ، والعُمَران: أبو بكر وعُمَر، رضي الله تعالى عنهما، وقيل: عمر بن الخطاب وعمر ابن عبد العزيز، رضي الله عنهما؛ قال مُعاذٌ الهَرَّاء: لقد قيل سِيرةُ العُمَرَيْنِ قبل خلافة عُمَر بن عبد العزيز لأنهم قالوا لعثمان يوم الدار: تَسْلُك سِيرةَ العُمَرَين. قال الأَزهري: العُمَران أبو بكر وعمر. لسان العرب، نسخة إليكترونية.

[4] – يحي: لم أصل إلى بيان هذا الفقيه المُشرع.

[5] – في ن(ب): كالنساء.

[6] – الصَّرَّاع: لعله أحد الفقهاء، أمَّا حمزة فلم أدر من هو، غير أنه لا يعدو أن يكون فقيها كسابقه.

[7] – في ن(ب): في سيره وبيطرا.

178 وَلَيسَ فِيهَا مِـن خَـزرَجٍ بَـشَرٌ وَلاَ … مِـنَ الأَوسِ[1] بَـل تَفرَّقُـوا بِعَبَـوثَرَا

179 وَلَمَّا فَصَلنَا صِـرتُ كَالمَيِّـتِ الـذِي … رَمَـق وَاللَّقلَـقُ[2] اختَـرَسَ اختِـرَا

180 وَتَبعَثُنِيَ الأَطمَاعُ فِي وَصلِ مَا انفَـصَل … وَإِيرَاقِ عُودٍ بَعـدَ يُـبسٍ لَـهُ ابتَـرَا

181 فَـوَا بَـينَ حِـبٌّ لاَ أُرِيـدُ فِرَاقَـهُ … بِهِ شَابَ مَفرِقِـي وَلَيلِـي سَـفَعطَرَا

182 فَعينَـايَ تَـذرُفَانِ فِي القَلـبِ تَـارَةً … وَأُخرَى عَلَى الخَدَّينِ فَالـدَّمعُ فِي ازوِرَا

183 فَرُوحِي مَفـرُوشٌ بِطَيبَـةَ، وَالجَـسَدُ … إِلى وِجهَةِ اليَنبُوعِ[3] أَو وَجهِ مَنـوَرَى

184 وَذَا اسـمٌ فِي أَلـسُنِ النَّـاسِ أَصـلُهُ … لِعَينٍ كَـثِيرِ النَّبـعِ جَرِيًّـا أَو اعتَـرَا

185 عَلَى وَزنِ بِنصَرٍ اسمُهَـا فِيهَـا مَائَـةٌ … وَسَبعُونَ عَينًا فَهِيَ مَـأوًى لِـضَيطَرَا

186 وَمِنهَا دَخَلنَا البَحـرَ وَالقَلـبُ آنِـسٌ … بِتُـونُسَ مَـرًّا بِـالخَلِيجِ وَبَهيَـرَا[4]

187 وَتُونُسُ قَد ـ وَاللهِ ـ تُـونِسُ كَاسمِهَـا … فَلاَ وَحشَةٌ فِيهَـا وَلاَ وَصَـبًا نَـرَى

188 وَقَد كَثُرَ السُّؤَالُ عَن شَـكلِ تُـونُسَ … أَبِالضَّمِّ؟ قُلتُ: ضَمُّكُمُ النُّونَ فِي اهـتِـرَا

---

[1] – الأوس والخزرج: أما الأَوْسُ: فقبيلة من اليمن، والاسم: الإِياسُ، وهو من العوض، وهو أَوْسُ بن قَيْلَة أخو الخَزْرَج، منهما الأنصار، وقَيْلة أُمُّهما. ابن سيده: والأَوْسُ من أنصار النبي ρ كان يقال لأبيهم الأَوْسُ، فكأَنك إِذا قلت الأَوس وأَنت تعني تلك القبيلة إِنما تريد الأَوْسِيِّين. أما الخَزْرَجُ: فقبيلة الأنصار، والخَزرج ريح الجنوب، وبه سمّيت القبيلة الخَزْرَج، وهي أنفع من الشمال.

[2] – لَقْلَقَ الشيءَ: حركه، وتَلَقْلَقَ: تَقَلْقَل، مقلوب منه. ورجل مُلَقْلَق: حادّ لا يَقِرُّ في مكان. واللَّقْلاق واللَّقْلَقة: شدة الصوت في حركة واضطراب. والقَلْقَلة: شدة اضطراب الشيء، وهو يَتَقَلْقَلُ ويَتَلَقْلَقُ.

[3] – ينبع: مدينة عن يمين رضوى لمن كان منحدرًا من المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى، فيها عيون عذاب غزيرة، وواديها يليل، قريبة من طريق الحاجِّ الشامي. معجم البلدان، ج4، ص511.

[4] – لقد سلك الشيخ والوفد المرافق له طريق البحر مثل أوّل مرة، من ميناء ينبع مرورًا بقناة السويس، فالإسكندرية وصولاً إلى تونس.

189 وَلَو قَالَ بَعضٌ: إنَّـهُ لاسـمِ رَاهِـبٍ ... بِهَا فِي زَمَانٍ فَتحِهَـا قَبـلُ بِمَـتَرَى

190 فَمَن لَهُـم أَنَّ اسـمَ رَاهِبِهَـا بِـضَمٍّ ... فَمَن جَازَ عَن كَسرِ اسمِهَا كَمَن كَتْرَى

191 فَـإِنَّ ذَوِي الإِسـلاَمِ عِنـدَ اقتِنَائِهَـا ... يُقِيمُـونَ فِي إِزَاءِ صَـومَعَةِ النَّـرَا

192 يَقُولُـونَ: إِنَّ هَـذِهِ تُـونُسُ الفَتَـى ... أَوِ استَمَعُوا طُـولَ اللَّيَـالِي لِهَمـرَا

193 وَذَاكَ مِنَ الرُّهبَانِ ذِكرٌ فَقِيـلَ: بُقـ ... ـعَةٌ تُونِسُ السُّمَّارَ فَاللَّيـلُ جِيـدَى

194 وَقِيلَ: رَأَوا فِي مَوضِعِ الجَامِعِ الكَبِيـ ... ـرِ[1] زَيتُونَةً تَزهُو مَكسِيَّةً خَـوزَرَى

195 فَقَالُوا لَهَا: زَيتُونَـةٌ تُـونِسُ الـوَرَى ... فَـسُمِّيَ ذَاكَ المِـصرُ تُـونُسُ وَادرَى

196 بِجَامِعِـهُ شَـاعَت إِضَـافَتُهُ لَهَـا ... وَلاَ زَالَ يَعلُو الكُفرَ أَو يَبلُـغُ الـذُّرَى

197 يَمِينًـا لَقَـد تَـزدَادُ تُـونُسُ بَهجَـةً ... بِطَودِ السَّخَاءِ لاَ رَأَى عِـوَضٌ خَـيرَا

198 زِمَامُ الحَيَا وَالـدِّينِ فِي رَفـعِ مَـذهَبِي ... وَمَن يَعتَزِي لَـهُ وَلَـو كَـانَ دَودَرَى

199 مَـدِيحًا لِإِبـرَاهِيمَ وَالِـدُهُ عُمَـر[2] ... وَكَانَ زَمَانُ البَـينَ وَسَـارَ وَزَعفَـرَا

200 تَبَاكَيـتُ إِذ وَادَعتُـهُ وَبَكَـى إِذَا ... بِعَينَـي غَـزَالٌ أَو بِعَـينٍ لِحَبتَـرَا[3]

201 رَصَافَحَنِي مِن ذَا يَـدَا مَلِـكٍ بَـرِعٍ ... يَرَى البُخلَ ذَنبًا يُتَّقَـى مِثـلَ خَنـرَى

202 وَقَد قَالَ وَهُـو مُنفِـقٌ: أَنَـا مُملِـقٌ ... فَقُلتُ: لَكَ العُذرَى عِدَاكَ العُوَيـشِرَا

203 فَقَد نِيلَ مِنكَ مَا كَفَى وَلَـكَ الوَفَـا ... حَلِيفَ الصَّفَا فَجُودُكَ الرِّيحُ قَـد دَرَا[1]

---

[1] - الجامع الكبير: هو جامع الزيتونة الشهير بتونس إلى اليوم.

[2] - إبراهيم بن عمر: علم بتونس الراجح عنادي أنه يسجني أو مزابي، وقد نزل القُطب ضيفًا عنده.

[3] - لعلك تلاحظ صدق العلاقات وحرارتها في توديع الضيف، خاصة إذا كان من طراز القُطب.

204	فَمن شُغلِهَا بِذروةِ[2] البَحـر سَــاكِنٌ	نُجيمَــــةَ دَلٌ لاَ مُميـــلَ وَقَهقَــرَا
205	إلى أن وَصَلنَا قَصرَ يَحيَ بَن صَــالِحٍ[3]	بِبُونَةَ[4] في الحَالاَتِ وَالمَشيِ حَيـزَرَا
206	هُمَــا الأَجــوَدَانِ الطَّيِّبَـانِ أَرُومَـــةً	يَقُولاَنِ: جِيءَ فِيكَ احتَزَلنَــا الزَّبنَتَـرَا
207	وَقَالَ: حَنَــانَ اللهِ لاَ تَخــشَى فَاتِــشًا	فَــإنَّ الكَــرَى بِــاللهِ فِيــكَ لَقَــوقَرَا
208	فَجِئنَا وَلاَ تَفتِــيشَ عَلَــيَّ وَلاَ عَلَــى	حَلِيلِي[5] وَكُلُّ النَّاسِ يُفَــتَّشُ عَيهَــرَا
209	وَلَــستُ بِنَــاسٍ هَــذِهِ أَو أَكعُبًــا	وَحَتَّ يَتُــوبَ الفَارِظَــانِ وَضَــوطَرَا
210	وَمَــا صَــنَعَ المَعــرُوفَ إلاَّ وَهنُــهُ	أَجَلٌ فَلاَ لاَقَتــهُمَا مِــن صَبوٍ كَــرَا
211	بِنَفسِي هُمَا لَكِنَّ عِيسَى بــنَ صَــالِحٍ	وَعِيسَى بنَ ذِي حَجٌّ قَد اقتَرَبَــا اقتِــرَا
212	فَقَــد سَــعَينَا في سِــترِنَا وَاحتِرَامِنَــا	فَسِيحًا بِهِ الأَعمَــى يَقُــولُ: أَرَى أَرَى
213	أَقَمنَــا وَسِــرنَا وَالأَنَــامُ بِمَنظَــرٍ	إِلَينَا عَلَى الإِحسَانِ حَــتَّ النُّــصَيرَى
214	بِقَسَنطِينَةَ[6] وَالأَصلُ قَسَنطِينُ وَهُو مَــن	بَنَاهَا وَزِيــدَ التَّــا جَلَّتــهُ العَبَــوتَرَى

[1] – اعتراف العالم بإحسان المضيف إليه، يدل دون شك على الورع والتقى.

[2] – في ن(ب): بدوره.

[3] – يحي بن صالح: هو والد الشيخ محمد بن صالح بن يحي الثميني تلميذ القطب وأحد أنصاره المخلصين، وقد يكون يحي بن صالح بن عيسى شيخ الشيخ القطب وهو من أعطاه رخصة الإفتاء من مجلس عمي سعيد مع صغر سنه لأنه كان شيخ وادي مزاب.

لقاء مع الحاج سليمان بكاي، مكتبة الاستقامة بني يسجن، 2007/07/17.

[4] – بُونة: هو الاسم القديم لمدينة عنابة، وهي مدينة جليلة تطل على البحر الأبيض المتوسط.

ينظر: كتاب الجزائر، أحمد توفيق المدني، المطبعة العربية بالجزائر، 1350هـ، ص233.

[5] – حليلي: زوجي، يريد حرمه وزوجته.

[6] – قسنطينة: هي سيرتًا، من أشهر مدن الشرق الجزائري، حافلة بآثارها الإسلامية وعلمائها المرموقين.

215	وَقَالـــــمَةُ[1] وَأَصـــلُهَا قَـــلٌ مَاؤُهَـــا	أو قَطَعَت أصـــلَ العِـــدَا بِـــالحَبِيكَرَى
216	وَبَتنَـــا[2] وَأَصــــلُهُ بَقِينَـــا مَبَاتَنَـــا	فَحُرِّفَ وَأُكِّدَ رَاسِمُهَا أَيَّمَـــا كَـــدرَا
217	بِحَيبِ الأَمـــيرِ الجُنـــدِ[3]: إنَّ مَبَاتَنَـــا	مَبَاتٌ بِأَمسِنَا الَّـــذِي اختَـــرَم اختِـــرَا
218	وَذَاكَ زَمَـــانُ فَـــتحِ مِـــصرَ هَتَـــاكَ فِي	يَسَارِ الَّذِي يَمضِي لِبِـــسكَرَةَ[4] اقتَـــرَا
219	بِفَتحٍ وَكَسرِ البَاءِ وَاللَّفظُ مِن كَـــربِ	جَرِيـــدِ يَمَـــامٌ فَوقَـــهُ وَالحُـــبَيرَا
220	وَفِيهَـــا البَـــوَابِيرُ انتَهَـــت وَعُجَالُهَـــا	وَلَيسَ لَهَا مِن بَعـــدِ ذَلِـــكَ مُجتَـــرَى
221	فَعَوَّضَـــنِي رَبِّـــي كَرِيمًـــا لَـــهُ أَبٌ	كَرِيمٌ وَأَجـــدَادٌ كِـــرَامٌ لَهَـــا اتـــدَرَى
222	جَوَادٌ تَلاَهُ الجُـــودُ مِـــن سِـــتَّةٍ وَقَـــد	فَدَتهُ نُفُوسُ حَاسِـــدِيهِ عَلَـــى اعتِـــرَا
223	إِذَا هَمَّ أَمـــضَى هَمَّـــهُ فَيُـــصِيبُ مَـــا	يَـــرُوقُ العُقُـــولَ فَهِـــيَ فِيـــهِ بِغَـــيرَا
224	كَهَودَجِهِ الَّـــذِي عَلَـــى بَغلِـــهِ رَسَـــا	كَقَبضَةِ جِصٌ أُحكِمَت فَوقَ قَنصَرَى[5]
225	فَزَوجِـــي فِيـــهِ مِثلُهَـــا فِـــي أَرِيكَـــةٍ	فَلَم تَخشَ وَقصًا[6] أَو سُقُوطًا بِزَيغَـــرَى
226	إِلَى أَن وَصَلنَا بَلـــدَةَ الـــشَّيخِ قَاسِـــمٍ	وَأَشـــيَاعِهِ فِي الـــدِّينِ فِي لَيلَـــةِ البَـــرَا
227	هُنَـــاكَ تَلَقَّانَـــا بِوَجـــهٍ مُقَـــسَّمٍ	يُنَوِّرُ بِـــالتَّقوَى الـــدُّجَى وَالعَمَيـــدَرَا

ينظر: نفسه، ص231 وما بعدها.

[1] – قالمة: مدينة ابتناها البربر والفينيقيون، شهيرة بحمّاما المعدنية، ينظر: نفسه، ص230.

[2] – باتنة: اسمها القديم راس العيون، وفي سنة 1849 صارت رسميا باتنة. ينظر: نفسه، ص195.

[3] – حيب الأمير: مدينة قريبة من بسكرة.

[4] – بسكرة: مدينة عتيقة، افتتحها عُقبة بن نافع الفهري واستشهد قربها. ينظر: نفسه، ص195.

[5] – شبه مظهر الهودج على البغل، كقبضة جِصٌ وهي مادة للطلاء صلبة، أحكمت فوقه بشدة.

[6] – وقصَ عُنُقَه: كَسَرها، يريد: أن زوجه لم تخش السقوط من بغلها فينكسر عنقها وتموت..

228 فَمَا لَبِثتُ أن شَاهَدتُ دَارَ يُوسُفَ بنَ عِيسَى بنَ صَالحٍ[1] بِيَسعجَنَ ذَا احتَرَى

229 جَزَى اللهُ عِيسَى ذَا الكِرَامِ وَهُوَدَجٍ وَبَغلٍ وَأَبقَى فِي وَلَايِدِهِ[2] كَرَا

230 غِنىً وَاعتِزَازًا جَامِعًا وَكَرَامَةً وَسِترًا وَحِفظًا لَيسَ يَأسَى وَلَا سَرَا

231 أُولَئِكَ أَحبَابِي نَأَوا فَأَصِيدهُم بِأَشرَاكِ أَحلَامٍ فَبِاليَقظَةِ انحَرَا

232 فَوَاهًا وَلَكِن تَستَّرَتِ السَّمَا فَأَطمَاعُنَا فِي اللهِ إِذ نُورُهُ وَرَى

تمت في 232 بيتًا.

---

[1] – يوسف بن عيسى بن صالح: الأرجح أنه من آل أطفيش. نفس اللقاء مع الحاج سليمان بكاي.

[2] – يريد: في أولاده وذريته.

الخاتمة:

لقد أولى السلف ـ رحمهم الله ـ لتدوين الرحلات عناية كبيرة، فصنفوا لها ودونوا دقائقها، ومنهم من بذل جهدًا لا يستهان به فنظم رحلته شعرًا حتى تنال مكانها في عقول وقلوب السامعين، وحاول تسجيل تفاصيل الأحداث بكثير من التحري والصدق في عرض الوقائع، وتفقد أوضاع البلاد الإسلامية، تعبيرًا عن تواصل المسلمين مع بعضهم البعض، حتى وإن تباعدت الأمصار وطالت المسافات، كما حرص معظمهم على إبقاء أواصر التواصل قائمة مع كل من تعرف عليهم في رحلته، فحدثت بذلك بينهم المراسلات الأدبية المتنوعة وتبادل الكتب وغيرها..

وقد سجل لنا التاريخ بعض العلاقات التي أثمرت وخلقت أجواء مفعمة بالنشاط ووطدت العلاقات بين العلماء فلم يكتفوا بالتواصل بينهم فقط بل نقلوا ذلك إلى طلابهم ومورديهم، وفتحوا مجالات جديدة في صيد العلوم بإنشائهم ما يُعرف بـ"البعثات العلمية"، فقامت بعض الأنظمة بإشارة من علمائها بفتح معاهد تقوم برعاية شؤون الطلبة الوافدين إليهم للانتهال من معين علمائهم، ومن تلك البلدان التي أقام بها الطلبة الجزائريون على سبيل المثال: مصر حيث جامع الأزهر العامر، وتونس الخضراء حيث جامع الزيتونة، والحجاز حيث الحرم المكي والمدني.

لقد أثمرت جهود الكثير من العلماء المصلحين المجددين على مر السنين خيرات جمَّة على بلدانهم والبلاد الإسلامية في شرقها وغربها، كما عرف العديد من الدعاة كيف ينهضون بشباب أمتهم نحو المعالي، فصنعوا منهم دعاة بدورهم مجددين ومصلحين.

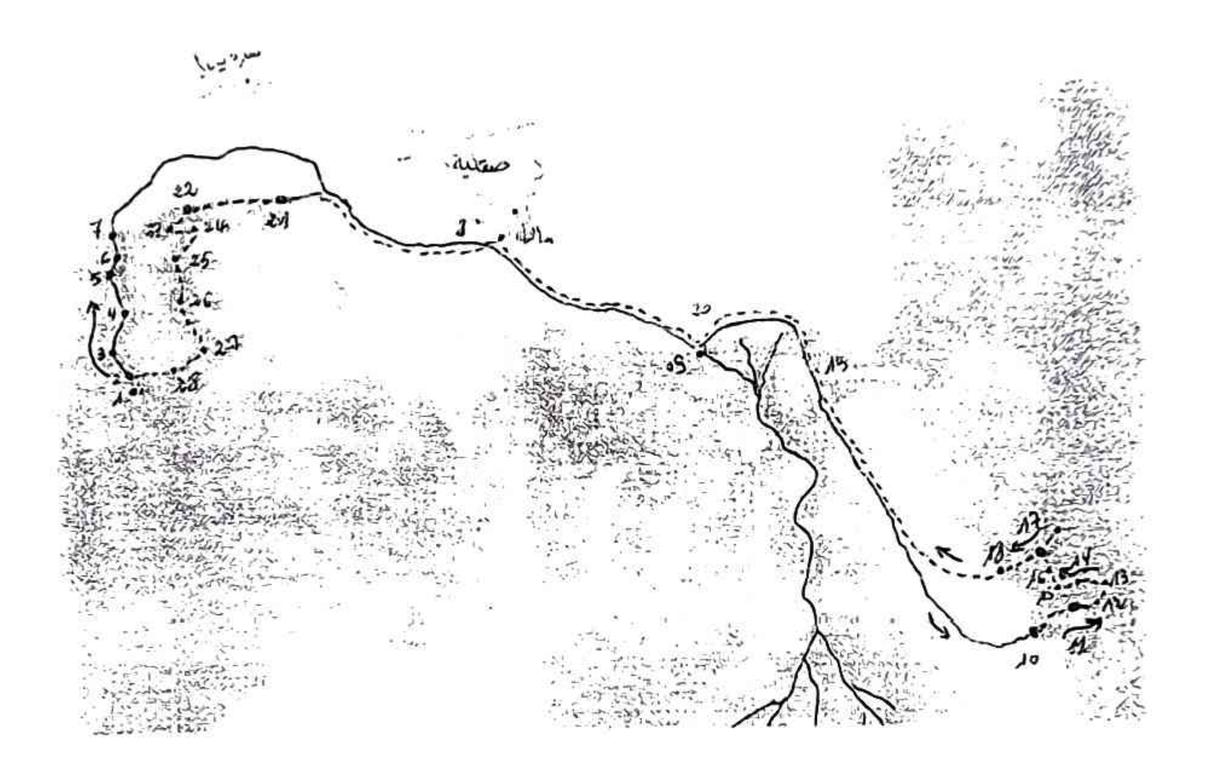
من هؤلاء قطب الأئمة الشيخ امحمد بن يوسف عيسى، أطفيَّش أحد أشهر علماء إباضية المغرب الإسلامي في العصور الحديثة، وهو صاحب التآليف العديدة في مختلف الفنون النقلية والعقلية، وصاحب مدرسة خرَّجت فطاحل المصلحين والدعاة على مر عقود من الزمن.

لقد عرف هذا العالم الجليل كيف يجمع الطلبة إليه من مختلف الأقطار الإسلامية، من ليبيا وتونس ومصر والحجاز، فخرّج منهم دعاة مجددين، صنعوا صفحات خالدة من أمجاد أوطانهم أمثال العالم المجاهد سليمان باشا الباروني الليبي عضو مجلس المبعوثان بالأستانة وصاحب مجلة الأسد الإسلامي بمصر، وكذا الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيَّش الجزائري المقيم بمصر، شيخ المحققين ومؤسس مجلة المنهاج بمصر، ممثل قضية عُمان في هيئة الأمم المتحدة.. وغيرهم الكثير ممن جاء ذكره في أثناء حديثي عن تلاميذ القطب في التقديم.

أتمنى أيها القارئ الكريم أنك قد عثرت على بعض ما يفيدك في هذا البحث المتواضع، كما أرجوا أني لم آخذ من وقتك الكثير في قراءته، إلاَّ أنني لا أجد ما أختم به القول هنا، لهذا لا أريد أن أطيل عليك كثيرًا عزيزي القارئ بتكرار ما سبق من ذكر عبر وآثار رحلة القُطب الحجازية.

في الأخير أسأل الله أن يتقبل مني بعض الصالحات ويعفو عن الكثير من السيئات، ويجعل هذا العمل في ميزان الحسنات، ويرفع به لعلماء الإسلام الدرجات، ويرحم العالم الجليل قُطب الأئمة الشيخ أطفيَّش وجميع تلاميذه ممن خدموا الدين والوطن.

الملاحق



الشكل (————): يمثل المسلك الذي اتخذه القُطب في رحلته قاصدًا المشرق.

الشكل (-.-.-.-): يمثل مسلكه في أداء مناسك الحج والعمرة.

الشكل (- - - - - -): يمثل مسلكه في رحلة العودة إلى وطنه.

*** الشكل(————): مسلك القُطب قاصدًا المشرق.**

1. وادي مزاب (غرداية).
2. بريان.
3. الأغواط.
4. الجلفة.
5. المدية.
6. البليدة.
7. جزائر بني مزغنة (العاصمة).
8. مالطة.
9. الإسكندرية.
10. جدة (الميناء).
11. مكة.

*** الشكل (–.–.–.–): مسلكه في أداء مناسك الحجّ.**

10. جدة.
11. مكة.
12. عرفات.
13. مزدلفة.
14. منى.
15. جُعرانة.
16. عسفان.
17. طيبة (يثرب).
18. ينبع (الميناء).

• الشكل(- - - - -): مسلك القُطب عائــداً إلى وطنه.

17. طيبة (يثرب).

18. ينبع (الميناء).

19. قناة السويس.

20. الإسكندرية (الميناء).

21. تونس.

22. بونة (عنابة).

23. قسنطينة.

24. قالمة (قــالمة).

25. باتنة.

26. بسكرة.

27. توقرت.

28. القرارة.

2. بريان.

1. وادي مزاب

الطالب العلم ترى كلامه

منخفضا ولم يخف ملامه

ولذ بمن بعث في تهامه

افضل من خلق ومن أمامه

تمت

القصيدة الحجازية

له رحمه الله ....

هجرنا مسافط الرءوس وما ترى

سوى الحج ان الحج فيه حان ان يرى

وغير اعتمار والزيارة للنبي

عليه الصلاة والسلام زها الثرى

الورقة الأولى وفيها مطلع القصيدة الحجازية للقُطب

وهي بخط الشيخ حاج يوسف بن عمر عبد الرحمن اليسجني.

١٢

قريان هو اسم لحاجرها وقد	اضيف اليه البير تلقى وتبترى
وقل ان تشا معناه برقد ارتوى	بوصف وموصوف وتركيبه اجترى
ومن بعدها الاغواط اغواله من حضر	وشرف وقدما كان من اهلها القرى
تسمى لان ارضه بعضها سهل	وبعض علا والله مهما يشا برا
وفيها أتاني اهلها يسالونني	عن الشعر أمن الكتاب له اصطرا
فقلت لهم : من قول طه وفعله	وقولكم من النساء به ازدرى
فما في النساء ركعة لمخافة	لذي حضر وسفر نسك وكالنشرا
ومن قال منها بالوقوف على الصلا	ة والبدء عنده بان خبتم ابترى
او الخوف كان من مراعاة غالب	زمان نزولها على سيد الورى
ومن بعدها الجلفا دخلنا وسميت	لان ذويها القلق في رقة القرا
ولكنها الحد لهاء ذا الوقت اذ سكن	ذوو العطف فيها بالتملك والكرا
ابو احمد بن صالح جيد النسب	سخي قول للاذى كيفما طرا

جد حمو السماوي

ورقة من بداية القصيدة الحجازية للقُطب

وهي بخط نفس الناسخ.

١٠٢

فزوجي فيه مثلها في اريكة	فلم تخش وقعا او سقوطها بزيغرى
الى ان وصلنا بلدة الشيخ قاسم	واشياعه في الدين في ليلة البرا
هناك تلقانا بوجه مقسم	ينور بالتقوى الدجا والغميد را
فما لبثت ان شاهدت دار يوسف	ابن عيسى بن صالح بيسكري ذا احترا
جزى الله عيسى ذا الكرام وهودج	وبغل وانفق في ولايده كرا
غنى واعتزازا جامعا وكرامة	وسترا وحفظا ليس ياتي ولادرا
اولئك أحبابي وأماجيدهم	بأشراك احلام فيا ليفخت اخرا
فواها ولكن ان تسترت السما	فأطما عنا في الله اذ نوره ووري

تمت ٢٢ بيتا

الورقة الأخيرة من حجازية القُطب.

٦

هجرنا مساقط الرؤوس وما نرى
سوى الحج ان الحج قد حان ان يرى
وغير اعتمار والزيارة للنبي
عليه الصلاة والسلام زها الثرى
فلله حمد حمد من لذي البقا
وحمد فقير للغني عن الورى
خرجنا بضحوة الخميس بمثل ما
خميس، ونحن في خلاء عن المرا
وفينا فتى الفتيان اشجع من ارى
واصدقهم حبا وأيقظ من سرى
واثقبهم ذهنا واطولهم يدا
ومجرى ابيه في شمائله جرى
الا انه ابن السيد المنتخي عمر*
تعبدل مرتين للخير مصدرا
فيا ليته في صحبتي كل رحلة
إلى مكة الغراء فاتحة القرى
كسائر اهل العطف جلهم ذو
سخاء ورفق بالذي برا وقرا
وفيهم بقية الزيارة والورع.
ونطق سواء لا قليل ولا هرا
وتصحيح صوم والصلاة مع الاما
م في راجح الأوقات والحج انحرا

* الحاج عمر بن حمو العطفاوي

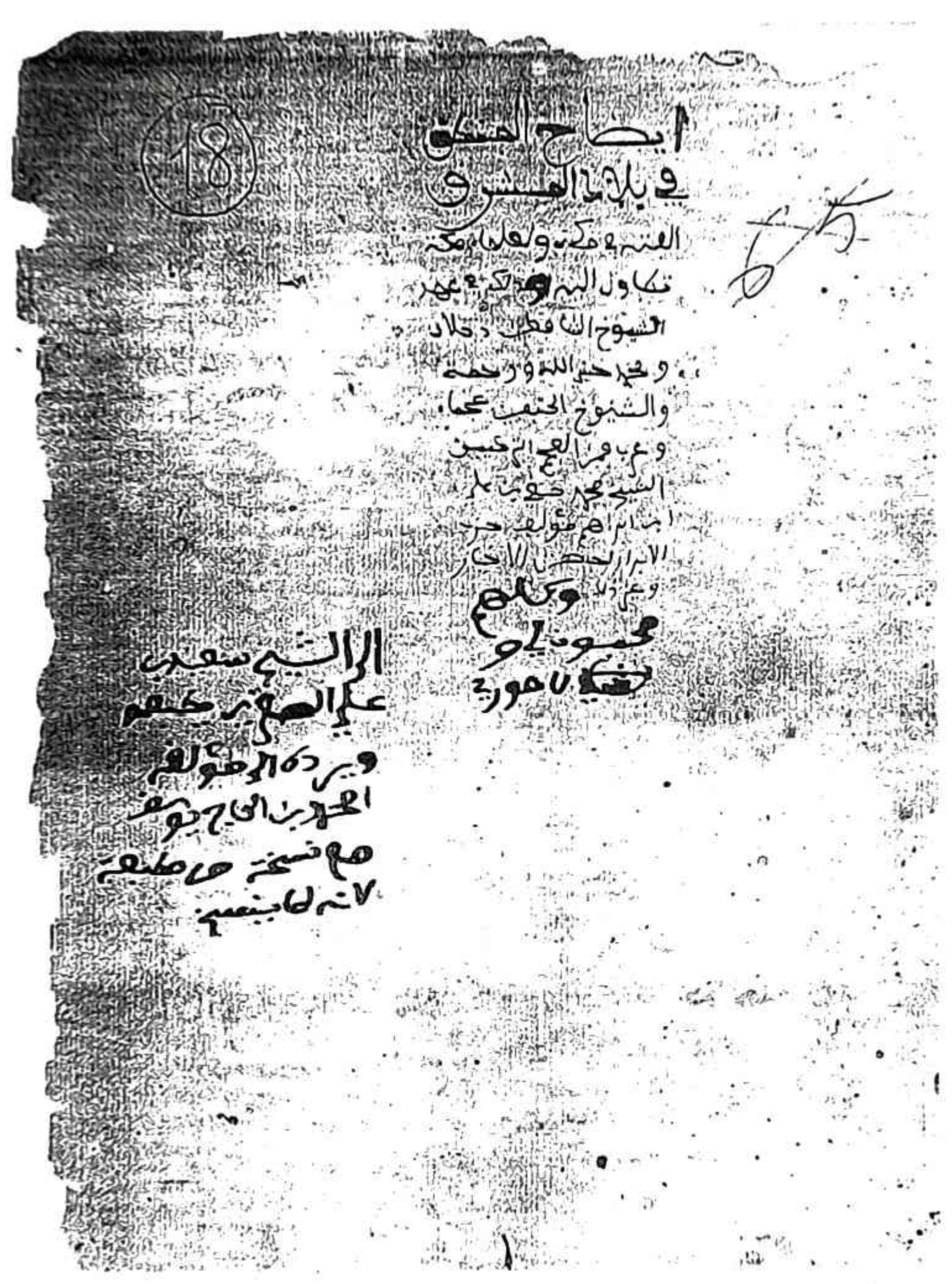
ورقة من بداية القصيدة الحجازية للقُطب أطفيَّش
وهي بخط الشيخ إبراهيم بن يحي القَرادي.

20

وما صنع المعروف الا وهنـــه
اجل قالا لا تتهما من صبو كـــرا
بنفسي هما لكن عيسى بن صالح
وعيسى بن ذي حج قد اقتربا اقترا
فقد سعيا في سترنا واحترامنا
فسبحانه الاعمى يقول: ارى ارى
أقمنا و سرنا والانام بمنحـــدر
الينا على الاحسان حتى النفيـــرى
بقسنطينة والاصل قسطيني وهو من
بناها وزيد التاجلة العبو تـــرى
وقالمة واصلها قل مـــا ؤ هـــا
او قطعت اصل العدا بالحبيبكرى
وبتنا واصله بفينا مبا تنا
فحرّفت واكد راسمها ايما كـــدرا
بجيب الامير الحبه ان مباتنا
مبات يا مسنا الذي اخترم اخترا
وذاك زمان فتح مصرهناكر مني
يسار الذي يمضي لبسكرة افترا
بفتح وكسر الباء واللفظ من كـــرب
جريك بمام خوفه والحبيـــرا
وفيها البوابيرا انتهت وتجالها
وليس لها من بعد ذلك مجتـــرى

ورقة من نهاية القصيدة الحجازية للقُطب أطفيَّش

وهي بخط نفس الناسخ أي الشيخ القَرادي.



الورقة الأولى من كتاب "إيضاح المنطق في بلاد المشرق" للقطب أطفيَّش بخطه موجود بمكتبة الاستقامة ببني يسجن، الخزانة1، رقم 18.

الفهارس

- فهرس الموضوعات 96

- فهرس القبائل 98

- فهرس الأعلام 118

- فهرس الأماكن 124

- فهرس الاقتباسات 129

- فهرس المصادر والمراجع 130

- فهرس المقابلات 133

فهرس الموضوعات

- مدخل 4
- التقديم 6
- طريقتي في البحث 7
- النسخ المعتمدة في التحقيق 9
- الرموز المستعملة ودلالاتها الاصطلاحية 13
- نظرة على واقع العالم الإسلامي خلال ق19م 14
- مزاب خلال نفس الفترة 15
- جهود الحركات الإصلاحية بمزاب 17
- القُطب أطفيَّش نسبه ومولده 22
- نشأته ووفاته 23
- نبوغه 26
- وفاته 26
- معهده 27
- منهجه في التدريس 29
- مكانته العلمية 30
- مؤلفاته 31
- أخلاقه وجهاده التربوي 34

- جهاده الإصلاحي 37
- محاربته للاستعمار الفرنسي 38
- رحلاته وأسفاره 39
- رحلاته الحجازية 40
- ظروف الرحلة 47
- فوائد الرحلة 57
- القصيدة الحجازية 61
- الخاتمة 83
- الملاحق 85
- خريطة تقريبية تبين رحلة القُطب الحجازية 86
- جداول تفصيلية لرحلة القُطب الحجازية 87
- نسخ مصورة من المخطوطات المعتمدة 89
- فهرس الموضوعات 96
- فهرس القبائل 98
- فهرس الأعلام 118
- فهرس الأماكن 124
- فهرس الاقتباسات 129
- فهرس المصادر 130
- فهرس المراجع 131
- فهرس اللقاءات 133

فهرس القبائل

(أ)

- الإباضية: 7، 17، 30، 42، 45، 58، 73، 74.
- الأعيان: 15.
- الأشعرية (الأشاعرة): 42، 55، 73، 75.
- الأوس والخزرج: 78.
- آل باحمد: 22.
- آل يدر: 23.
- آل سعود: 44.
- أولاد نايل: 52، 65.
- أولاد بلحرش: 52، 66.
- أولاد بن لحسن: 52، 66.
- اليهود: 53، 67.

(ب)

- بني مزاب: 52، 53، 55.
- بنو ثقيف: 72.
- بني عدي: 22.

(ع، غ)

- العثمانيون (الأتراك): 14، 16، 44، 45.
- العزابة: 15، 19، 27، 38.

(ف)، (ق)

- الفرنسيون (الاستعمار): 8، 14، 16، 30، 37، 38، 39، 53، 56، 58.

(ك)، (هـ)

- الكراغلة: 13.

(م)، (ن)، (ل)

- المالكية: 40، 42.

(ح)، (ص)، (ش)

- الحفصيون: 22.
- الصفرية: 55، 75.
- الشافعية: 40، 43، 44.

فهرس الأعلام

(أ)

- آدم u: 71.
- القُطب أطفيَّش: صاحب الرحلة، ورد ذكره في معظم صفحات الكتاب.
- ابن هشام: 7هـ، 26.
- ابن الحاجب: 43.
- أحمد عُرابي: 14.
- أحمد (الإمام): 34.
- أحمد بن حمو كروم: 10.
- أحمد الغازي (السلطان): 41.
- أحمد بن حمزة الرفاعي: 43، 44، 46.
- أحمد السمهودي: 44.
- أحمد بن الحاج إبراهيم حميد أوجانة: 38.
- أبو مهدي عيسى المليكي: 16.
- إبراهيم بن يحي القرادي: 10.
- إبراهيم بن بِحمان الثميني: 18.
- إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان: 22، 25، 27، 35.
- إبراهيم بن يوسف (شقيق القُطب): 24، 25.
- إبراهيم أطفيَّش الجزائري (أبو إسحاق): 27.
- إبراهيم بن بنوح متياز: 28.

- إبراهيم بن عمر (تاجر بتونس): 56، 79.

(ب)

- باعبد الرحمان الكرثي: 16.
- بابه بن امحمد الغرداوي: 18.
- بابكر بن الحاج مسعود: 27.
- باحمد بن صالح سماوي: 52، 65.
- بُرغش (سلطان زنجبار): 30.

(ج، ح، خ)

- جمال الدين الأفغاني: 14.
- جميل بن خميس السعدي: 30.
- حاج سعيد يوسف: 9هـ، 15هـ.
- حاج سعيد باحمد: 9هـ.
- الشيخ حمو والحاج اليسجني: 18.
- الشيخ حمو بن باحمد بكلي: 49.
- الحاج يوسف (والد القُطب): 23.
- الحاج الناصر بن إبراهيم الداغور: 28.
- الحاج عمر بن يحي القراري (نور القلب): 28.
- الحجاج بن يوسف الثقفي: 72.
- حمزة الرِّفاعي: 43، 44.
- حمزة τ: 77.

(ت، ث)

- الترميذي: 34.

(د، ذ)

- الدؤلي أبو الأسود: 71، 72.
- دولاتور (الجنرال الفرنسي): 38.
- دحلان: 40، 42، 55، 74.

(ر، ز)

- الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم): 32، 34، 43، 44، 55، 62، 72.

- الربيع بن حبيب τ: 32.
- رقية τ!: 65.
- رحمة الله الهندي: 40، 55، 74
- زياد بن الأصفر: 55، 76.

(ع، غ)

- العباس τ: 77.
- عبد العزيز الثميني (ضياء الدين): 7هـ، 18، 19، 20، 21، 25، 30، 56.
- الشيخ عمي سعيد الجربي: 16.
- عبد الله بن عباس τ: 34، 69.
- عبد الله بن حميد السالمي: 22، 37.
- عبد الله أفندي (قاضي القضاة): 41.
- عبد المطلب (عم الرسول ρ): 73.
- عبد الحميد الثاني (السلطان): 28.
- عمرو رمضان التلاّتي أبو حفص: 17.
- عمر بن يوسف عبد الرحمان: 9، 10.
- عمر بن حمو بكلي: 11هـ، 28، 48، 62.
- عمر بن الخطاب (الفاروق) τ: 22، 71، 77.
- عثمان بن عفان τ: 65.
- عمر بن سليمان نوح: 24.
- عائشة نوح (زوجة القُطب): 26.
- عيسى بن صالح الفارسي: 37.

- عيسى بن صالح (عشُّو): 49. 56، 81.
- عيسى بن الحاج: 56، 81.
- علي بن أبي طالب τ: 74.

(ص، ض)

- الصديق أبو بكر τ: 77.
- صالح بن عمر لعلي: 27.
- صالح بن محمد بن سليمان: 33.
- صالح بن يحي بن سليمان آل الشيخ: 28.
- صالح بن الحاج محمد الداوي: 28.

(ف، ق)

- فرعون: 70.
- القلصادي: 34.
- قسطنطين: 81.

(س، ش)

- السنوسي (صاحب كتاب السنوسية في عقائد المالكية): 42.
- السعد التفتازاني: 42.
- سليمان بكايِ (المؤرخ): 11، 25.
- سليمان بن عيسى آل الشيخ: 24.
- سليمان باشا الباروني الليبي: 27.
- سعيد بن يوسف وينتن: 24.
- سعيد بن تعاريت الجربي: 27.
- سعيد بن علي الصقري (سلطان زنجبار): 41.
- الشافعي (الإمام): 75.

(م)، (ن)، (ك)

- مالك بن أنس: 73.
- مامة ستِّي (والدة القُطب): 23.
- محمد علي دبوز (المؤرخ): 23، 36.
- د. محمد عبد السلام هارون: 12.
- موسى ابن الشيخ عمي يحي الأفضلي: 18.
- محمد بن أبي القاسم المصعبي (حمو والحاج): 44، 33، 67.
- محمد عيسى ازبار: 27.
- محمد عبده: 14.
- محمد بن إبراهيم الكِندي العُماني: 30.
- محمد بن صالح بن يحي الثميني: 28، 19.

- محمد حسبي الله: 40، 42، 55.
- محمد حقي: 40، 41، 42.
- محمد بالي المدني الحنفي: 45.
- مريامة فرطاس (زوجة القُطب): 48، 80، 82.
- د. مصطفى وينتن: 14هـ.

(هـ)، (ي)

- هامان: 74.
- يدر الحاج أحمد (قاضي معسكر): 43.
- يحي بن إبراهيم بن امحمد: 33.
- يحي بن عيسى بن إبراهيم بن يحي: 33.
- يحي بن صالح باعمارة: 28.
- يحي بن صالح الثميني: 56، 80.
- يحيى بن صالح الأفضلي أبو زكرياء: 7هـ، 17، 19، 20.
- يحي بكوش: 31.
- يوسف بن عدون أبو يعقوب: 18.
- يوسف بن عيسى بن صالح: 57، 82.
- يوسف بن امحمد المصعبي "نزيل جربة": 31.
- يوسف بن إبراهيم الوارجلاني أبو يعقوب: 5، 19.

فهرس الأماكن

(أ)

- أوربا: 14، 39، 53.
- الأزهر (الجامع): 17، 42، 57.
- الأغواط: 51، 56، 64.
- الأكاديمية الفرنسية: 30.
- الإسكندرية: 54، 68.
- إسبانيا: 54.
- اسطنبول: 41.

(ب)

- بني يسجن: 9، 10، 17، 19، 22، 23، 27، 36، 49، 50، 56، 57.
- البحر الأبيض المتوسط: 54، 69.
- بحر القُلزم (البحر الأحمر): 54، 55، 70.
- باب المجيدي: 45.
- بسكرة: 56، 81.
- باتنة: 56، 81.
- البليدة: 53، 67.
- بنورة: 27.
- بريان: 39، 49، 50، 51، 56، 64.
- البيت الحرام: 45، 50، 51، 61، 65، 66.

- بونة (عنابة): 56، 80.

(ت)

- تجنينت (العطف): 52، 63، 65.
- تونس: 46، 47، 49، 63.
- تركيا: 30.

(ج)

- الجزائر: 8، 14، 15، 22، 30، 43، 44، 53، 67.
- الجلفة: 51، 52، 53، 56، 64.
- جربة: 17، 20، 27.
- الجريد (الشط): 56، 81.
- جده (الميناء): 54، 55، 70.
- جبل طارق: 54، 67.
- جعرانة: 55، 74.
- الجامع الكبير (جامع الزيتونة): 55، 57، 79.
- جيب الأمير: 56، 81.

(ح، خ)

- الحجر الأسود: 54، 70، 72.
- الحجاز: 5، 39، 41، 43، 48، 54، 57، 59.

(د، ذ)

- دار التلاميذ اليسجنيين: 24.
- دار إروان (العطف): 10.

(ر، ز)

- زنجبار: 30، 58.

(ع، غ)

- غرداية: 22، 23.

- عُمان(السلطنة): 20، 22، 25، 27، 28، 30، 42.

- عسفان: 55، 75.

- عرفات: 74.

- عيون بدر: 55، 76.

(ص، ض)

- صفرى: 53، 82.

- الصفا: 81.

(ط، ظ)

- الطائف: 55، 76.

(س، ش)

- سردينيا: 54، 69هـ.

(ف، ق)

- قسنطينة: 56، 81.

- القسطنطينية: 39.

- القرارة: 39.

- قناة السويس: 54، 55، 69.

- قـالمة: 56، 81.

(و)

- وارجلان: 18، 19، 39، 56.

- وادي ريغ: 18.

- وكالة الجاموس: 17، 42، 58.

- وهران: 43.
- وادي حنين: 55، 76.

(ن)

- نفوسة (ليبيا): 27، 38، 39، 42.

(م)

- مالطة: 68.

- المشرق: 5، 35، 59.

- المغرب: 5، 22، 27، 59.

- مزاب: 15، 16، 17، 18، 19، 27، 29، 42، 45، 47، 49، 51، 56، 58.

- مصر: 17، 25، 39، 57، 38، 59.

- المدينة المنورة (يثرب): 43، 44، 45، 55، 77، 78.

- المدية: 53، 66.

- المسجد النبوي: 45، 46.

- المسجد الحرام: 42، 54، 55.

- مسجد ابن طولون (مصر): 42، 56.

- مقام إبراهيم ʊ: 71.

- مكة: 40، 41، 54، 55، 62، 70.

- مكتبة الاستقامة: 19، 25هـ.

- مكتبة القطب: 37، 58.

- مكتبة مؤسسة الشيخ عمي سعيد: 20هـ.

- مُعسكر (عمالة وهران): 43.

- منى: 74.

(ي)

- ينبع: 55، 78.

- يثرب: 53.

فهرس الاقتباسات القرآنية

الآية	الصفحة
1- [.. فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التي فطر الناس..] الروم، 30.	29
2- [... يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته..] آل عمران، 102.	35
3- [.. والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض] التوبة، 71.	35
4- [.. لله ما في السموات والأرض..] البقرة، 12.	46
5- [.. والشمس تجري لمستقر لها..] ياسين، 38.	53، 66
6- [وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة...] النساء، 101.	64

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الآية	الصفحة
1- [.. احفظ الله يحفظك..] أخرجه أحمد والترمذي	34
2- [... رسم المداد في ثوب أحدكم إذا كان يكتب به علمًا كالدم في سبيل الله..] أبو عبيدة عن جابر بن زيد.	36
3- [.. جزوا الشوارب وأعفوا عن اللحى] مسند أحمد.	66
4- [.. لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة تماثيل..] البخاري.	69

فهرس المصادر

1. "القصيدة الحجازية"، الشيخ امحمد بن عيسى أطفيَّش، منها نسخ مخطوطة مصورة بحوزة الباحث.
2. "مختصر المناسك ومهذب المسالك". الشيخ إبراهيم بن بحمان الثمني، مخ، مكتبة القُطب بني يسجن.
3. "ملحق السير"، إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان، مخ، كله.
4. "السلاسل الذهبية"، إبراهيم حفار، مخ، كله، مكتبة القُطب بني يسجن.
5. "إيضاح المنطق في بلاد المشرق"، القُطب امحمد بن يوسف أطفيَّش، مخ، كله، مكتبة الاستقامة، بني يسجن.
6. "الذخر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"، القُطب أطفيَّش، طح، د.ت.
7. "إذ لم تعرف الإباضية"، امحمد بن يوسف أطفيش، (طح)، د.ت.
8. "كتاب تعليم الرسم"، امحمد بن يوسف أطفيش، (طح)، د.ت.
9. "رسالة من الشيخ أجمد بن حمزة الرِّقاعي"، إلى يدر الحاج أحمد قاضي الجماعة الإباضية بمُعسكر، 3 صفحات، كلها.
10. "زمام شجرة نسب عشيرة آل الحُجاج بالعطف"، مخطوط مصور، كله.
11. "محاضرة بمناسبة مهرجان القُطب"، إبراهيم سليمان بابزيز، ألقيت بالمدرسة الجابرية ببني يسجن، الخميس 18 ذو القعدة 1401هـ الموافق لـ 17 سبتمبر 1981م.

فهرس المـــراجع

1. "ديوان الشيخ إبراهيم بن بِحمان المُصعبي"، دراسة وتحقيق، سبتمبر 2005، جامعة الجزائر، كلية الآداب، إشراف: د.محمد بن قاسم ناصر بوحجام.
2."معجم أعلام الإباضية"، مجموعة من الباحثين، نشر جمعية التراث، القرارة الجزائر، المطبعة العربية، ط1، 1999، 4ج.
3. "معجم البلدان"، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث، 1995، 4ج.
4. "تحقيق النصوص ونشرها"، محمد عبد السلام هارون، مكتبة السنة، مصر. ط5، 1995.
5. "المنجد في اللغة والأعلام"، دار المشرق. بيروت، لبنان ط28. 1986.
6. "لسان العرب"، ابن منظور محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت 1992.
7. " تهذيب اللغة "، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري. الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، 1968.
8."الإباضية في موكب التاريخ"، علي يحيى معمر، الحلقة الرابعة، مطبعة الدعوة الإسلامية مصر، ط1، 1979.
9."الأعلام"، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت، ط11، 1995.
10. "طبقات المشائخ بالمغرب"، أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، تح إبراهيم طلاّي، مطبعة البعث (قسنطينة)، ط1، 1970.
11. "حياة الشيخ عبد الرحمن الحاج عمر بن يوسف وجهاده في سبيل العلم والتعليم"، بقلم حاج سعيد باحمد، بحث مرقون، 2001.

12. "تاريخ بني مزاب" دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، يوسف بن بكير حاج سعيد ، المطبعة العربية غرداية، ط1، 1991.

13. "آراء الشيخ امحمد بن يوسف أطفيَّش العقدية"، مصطفى وينتن، نشر جمعية التراث القرارة، المطبعة العربية غرداية، ط1، 1998.

14. معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، تأليف د.محمد صالح ناصر، والأستاذ سلطان بن مبارك الشيباني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006.

15. نهضة الجزائر الحديثة، محمد علي دبوز، المطبعة التعاونية، ط1، 1965.

16. دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديمًا وحديثًا، حمو عيسى النوري، طبع دار البعث قسنطينة، ط2، 2000.

17. تيسير التفسير، القُطب أطفيَّش، تح إبراهيم طلاي، المطبعة العربية غرداية، ط1، 2002.

18. موسوعة الأديان والمذاهب، الوكيل عبد الرزاق محمد أسود، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط2، 2000، 4 أجزاء.

فهرس المقابلات

1. لقاء مع الأستاذ أحمد بن حمو كروم، بمكتبه بدار إروان بالعطف، بتاريخ:.
الثلاثاء 25 جمادى الثانية 1428هـ الموافق لـ 10 جويلية 2007.

2. لقاء مع الأستاذ المحامي سماوي عمر بن عيسى بمكتبه بغرداية بتاريخ:
الأحد: 01 رجب الأصم 1428هـ الموافق لـ 15 جويلية 2007.

3. لقاء مع الحافظ الحاج سليمان بكاي، قيم مكتبة الاستقامة ببني يسجن،
الثلاثاء: 03 رجب الأصم 1428هـ الموافق لـ 17 جويلية 2007.

أطفيش، امحمد بن يوسف بن عيسى أطفيش
رحلة القطب الشيخ امحمد بن يوسف بن عيسى أطفيش
الشهير بـ"قطب الأئمة"
ط 1 ، القاهرة : دار الآفاق العربية 2017
117 ص ، 24 سم

1- الرحلات فى الادب العربى .
2- العالم – وصف ورحلات .

أ. حاج أمحمد، يحي بن بهون (دراسة وتحقيق) .
ب. العنوان
810.9031

تدمك: 2 – 396 – 344 – 977 – 978
رقم الإيداع : 25749 / 2016
الطبعة الأولى
1438هـ / 2017 م

نشر – توزيع – طباعة
55 شارع محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر – القاهرة
تليفون : 22617339 -00202 تليفاكس : 00202-22610164
Email: dar.alafk@yahoo. Com
Email : selim.selim10@yahoo.com





هذا الكتاب

إن من أهم ما يمكن التعليق علية والوقوف عندة من الفوائد العديدة لرحلة القطب هو لقاءه بالعلماء الأعلام وتدريسه الناس بالحرم المكى والمدنى، والتفاف الطلبة على اختلاف مشاربهم من حوله، وذلك من أجل اقتناص الفوائد العلمية المتنوعة ولم يكن القطب في منهجه متعصباً لفكرة ما أو اتجاه مذهبى معين بل كان متفتّحا على الجميع يسمع كل الآراء ويهتم بشؤون المسلمين في كامل البلاد الإسلامية، وأكثر من ذلك فقد انبرى مهاجماً الاستعمار فاضحا لكل سياساته ودسائسه في استعباد الشعوب، ومبصّرا في ذلك المسلمين في مختلف الأقطار التي زارها أو راسل علماءها.

وقد سجل لنا التاريخ بعض العلاقات التى اثمرت وخلقت اجواء مفعمة بالنشاط ووطدت العلاقات بين العلماء فلم يكتفوا بالتواصل بينهم فقط بل نقلوا ذلك إلى طلابهم ومورديهم، وفتحوا مجالات جديدة في صيد العلوم بإنشائهم ما يعرف بـ) البعثات العلمية (بين المشرق والمغرب.

إن رحلة القطب الحجازية قد ضربت لنا مثالاً آخر في التواصل بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، كما عكست جوانب فاضلة من أخلاق العلماء، ونقلت لنا صوراً حية عن تاريخ الإسلام والمسلمين في ثلك الحقبة التاريخية المهمة، وإن كان معظمها مايزال بحاجة إلي المزيد من الدراسة والتحقيق.

يحي بن بهون


9 789773 443955